الموسم الثقافي الثاني

لمجمع اللغة العربية الأردني

الطبعة الأولى
عمان - الأردن

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

حقوق الطبع محفوظة لمجمع اللغة العربية الأردني

ويمنع تصوير هذا الكتاب أو إعادة طبعه دون إذن من المجمع

مكتبة مجمع اللغة العربية الأردني
الرقم المتسلسل ٩٥٩٨
رقم التصنيف
التاريخ ١٩٩٤/٧/٥

تقديم الكتاب

هذا كتاب الموسم الثقافي الثاني الذي أقامه مجمع اللغة العربية الأردني خلال شهر أيار عام ١٩٨٤م. وكان الموسم الثقافي الأول قد أقيم خلال شهرين كاملين من عام ١٩٨٣م، هما شهرا نيسان وأيار معاً. ومثلما شارك في الموسم الأول عدد من الاخوة العلماء والمفكّرين من أقطار عربية مختلفة، كذلك شارك في هذا الموسم الثاني أربعة من الاخوة والزملاء الباحثين من العراق، وسوريا، ومصر، والجزائر.

بدأ الموسم بمحاضرة للأستاذ الدكتور محمود الجليلي، من العراق، موضوعها: «تجارب في التعريب، تحدّث فيها عن تجاربه الشخصية في حقل المصطلحات الطبية، وبعض التجارب الأخرى؛ وتحدّث عن مفهوم تعريب المصطلحات العلمية، وضرورة توحيد المصطلحات في العالم العربي. وقد ألقى الدكتور الجليلي محاضرته هذه مساء يوم السبت ٤ شعبان ١٤٠٤هـ. ٥ أيار ١٩٨٤م.

وفي مساء يوم السبت التالي، ١١ شعبان ١٤٠٤هـ. ١٢ أيار ١٩٨٤م، كان الجمهور على موعد مع الأستاذ الدكتور شوقي ضيف، من القاهرة، في محاضرته «محاولات تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً». وقد تحدّث فيها عن محاولات كثيرة قامت لأجل تيسير تدريس النحو، وتبسيطه للدارسين.

وكانت المحاضرة الثالثة للأستاذ الدكتور محمد هيثم الخيّاط، من سوريا؛ وموعدها مساء السبت ١٨ شعبان ١٤٠٤هـ. ٩ أيار ١٩٨٤م. وكان موضوعها «تعريب العلوم الطبيّة»، وقد تحدّث فيها عن تجربة جامعة دمشق في حقل تدريس الطبّ باللغة العربية، وما كان لها من فضل في تعريب المصطلحات الطبية، كما تحدّث عن المعاجم الطبيّة، ومحاولة توحيد المصطلحات فيها في العالم العربي.

وفي مساء الثلاثاء ٢١ شعبان ١٤٠٤هـ. ٢٢ أيار ١٩٨٤م. كانت المحاضرة للأستاذ الدكتور عبدالرحمن الحاج صالح، من الجزائر، وكان عنوانها «تكنولوجيا اللغة والتراث العربي اللغوي الأصيل»؛ وقد تحدّث فيها عن بعض الاجهزة الحديثة المستخدمة في الصوتيّات ومخارج الحروف، وأهمية هذه الأجهزة التكنولوجية في تطوير منظور الانسان ومناهجه والموضوعات التي تبحث فيها، إذ تساعده على تحليل الواقع، ممّا يؤدي الى تطوير النظرة الى هذا الواقع.

وأما ختام الموسم الثقافي فقد كان ندوة حول «دور المجامع اللغوية في الحياة العلمية العربية المعاصرة»، شارك فيها رئيس المجمع الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة، والأستاذ الدكتور اسحق الفرحان، والأستاذ الدكتور محمد أحمد سليمان. وكان موعد الندوة مساء السبت ٢٥ شعبان ١٤٠٤هـ. ٢٦ أيار ١٩٨٤م.

♦♦♦

الموسم الثقافي الأول عام ١٩٨٣م. استغرق شهرين، وكان اقبال الجمهور المثقف عليه، ومشاركته في المناقشات التي كانت تدور بعد كل محاضرة او ندوة،مشجّعين جدّاً، مما جعل المجمع يحرص على مثل هذا التلاقي يتكرّر بعد ذلك عاماً بعد عام. ولكنّ المجمع رأى الاكتفاء بشهر واحد من كلّ عام. وقد نجحت التجربة كذلك في الموسم الثاني، فكان اقبال الجمهور ومشاركته باعثين على الغبطة والرضى.

وكذلك كانت مشاركة وسائل الاعلام جديرة بالتقدير والشكر: لقد شاركت الصحافة والتلفزيون والاذاعة في التعريف بالموسم ووقائعه وضيوفه، وتغطية أخباره.

وها هي محاضرات الموسم الثقافي الثاني تجتمع بين دفّتي هذا الكتاب، مثلما اجتمعت محاضرات الموسم الأولى وندواته في كتاب من قبل، لكي تصل الفائدة الى أبعد من المدى المحدود الذي ألقيت ونوقشت فيه.

ونغتنم هذه المناسبة لنبعث بشكر المجمع الى كلّ من شارك في موسمه الثقافي: من العلماء الأعلام، ومن المشاركين في الحضور والمناقشة، ومن القائمين على وسائل الاعلام المختلفة: الصحافة، ووكالة الأنباء الأردنية، والتلفزيون، والاذاعة، وكلّ من كانت له مساهمة في تغطية أنباء الموسم والكتابة عن محاضراته.

رئيس المجمع
الدكتور عبدالكريم خليفة

المحاضرة الأولى :

تجارب في التعريب

للأستاذ الدكتور محمود الجليلي
(عضو المجمع العلمي العراقي)

السبت ٤ شعبان ١٤٠٤هـ - ٥ أيار ١٩٨٤م

انه لشرف كبير وسرور عظيم أن أتحدّث أمام هذه الصفوة الكريمة في الموسم الثقافي لمجمع اللغة العربية الموقّر في الأردن العزيز. وسيكون معظم حديثي عن تجربتي الشخصية في حقل التعريب، مع نظرة الى تجربة العراق العامة في هذا الصدد وذلك حسب طلب الأستاذ الفاضل رئيس مجمع اللغة العربية الاردني.

ولقد بدأت مشاركتي في أمور اللغة العربية العلمية والمصطلحات الطبية والعلمية بصفة فعّالة منذ عشرين سنة (منذ سنة ١٩٦٣) عندما أصبحت عضواً في المجمع العلمي العراقي، وكانت على صلة قويّة بالأقطار العربية.

تعريف التعريب:

المقصود بالتعريب في الوقت الحاضر استعمال اللغة العربية في مختلف فروع المعرفة كلاماً وكتابةً، دراسةً وتدريساً، وبحثاً وترجمةً وتأليفاً، بينما كان مدلول التعريب في السابق مختلفاً، فلقد جاء في القاموس المحيط: (والتعريب تهذيب المنطق من اللحن)، وفي لسان العرب لابن منظور: (. . ويقال عَرَّبْت له الكلام تعريباً وأعربت له إعراباً اذا بيَّنته له. . . وتعريب الاسم الأعجمي ان تتفوَّه به العرب على منهاجها، نقول عرّبته العرب واعربته ايضاً. .). وجاء التعريف التالي في المعجم الوسيط الذي أخرجه مجمع اللغة العربية في القاهرة: (. . . أعرب الاسم الأعجمي نطق به على منهاج العرب. . وعرَّب الاسم الاعجمي أعْرَبه. .).

وعند بدء العمل في المصطلحات العلمية بُحِثَ (التعريب) بمدلوله القديم بحثاً واسعاً وتقرّر استعماله فقط عند الضرورة القصوى. وكان يُقْصَد بذلك استعمال الكلمات الأجنبية في اللغة العربية بعد شيء من التحوير او بدونه. ولكنّا نجد أنّه اصبح للكلمة مدلول آخر، فأصبح الكلام عن (تعريب التعليم) مألوفاً، ويُقْصَد به التدريس باللغة العربية، وعُقِدَت مؤتمرات متعدّدة (للتعريب) أُقرَّت فيها معجمات كثيرة للعلوم، وسبق ان أُنشِيء (المكتب الدائم لتنسيق التعريب) وأُصدَر دراساتٍ وابحاثاً عديدة.

إنَّ هذا التطوّر في مدلول الكلمة يجب ان يكون مثالاً يسير عليه العاملون في مجال التسميات والمصطلحات العلمية باللغة العربية. فإنّ بعضهم يلتزم باللفظ والمعنى المعجمي التزاماً حرفياً، ويمنع بذلك الاستفادة من كثير من الكلمات التي تصلح ان تكون مصطلحات علمية.

ونرى ان لا يتوقف التعريب عند اختيار التسميات او المصطلحات العربية المناسبة في مختلف فروع المعرفة، بل يجب ان يتضمَّن استعمال الاسلوب العلميّ الصحيح باللغة العربية، وكذلك ان يكون التفكير والتعبير عربياً. فيجب ان يكون الكلام والكتابة الصحيحين جزءً من عملية التعريب.

التسميات والمصطلحات:

ويتساهل الآن كثير من العاملين في شؤونِ التعريب باستعمال كلمة «المصطلحات»، فانهم يُدْخِلون ضمنها التسميات المعروفة المتداولة، ولقد قُبِل ذلك من وجهة نظرٍ عملية في إعداد المعاجم وقائمات المصطلحات لتكون كاملةً او لتكون الكلمات فيها متسلسلةً أو متتابعةً، خاصّة عند اعتماد معجم كامل باللغة الأجنبية اساساً، واختيار ما يقابل

مفـرداتـه . فإنّ استعمـال كلمات أعضاء الانسان كالقلب والكبد والمعدة والدِّماغ والشريان لا يدخل ضمن المصطلحات إذ أنّها تسميات معروفة، ولكنّ وصف بعض التسميات بصفاتٍ معينةٍ يجعلها مصطلحات يُقْصَد بها أمور علمية معيَّنة . مثلاً الماء المقطَّر aqyus distillots وهو ما سُخِّن ليتبخَّر ثم كُثِّف البخار، وبهذا تقلّ شوائبه .

والمـاء المنقَّى purified water هو المـاء الذي يتمّ الحصول عليه بوسـاطـة التقـطير وازالـة الشوارد deionization ، يستعملَ في الأغراض الصيدلانية وغيرها التي تتطلب ماء خالياً من المعادن .

والمـاء الثقيل هو مركَّب مضاءٍ للماء ولكنه يحتوي عنصر ديوتيريوم deuterium (كتلة نظيرين من الهيدروجين) ويختلف عن الماء الاعتيادي بأنّه لا ينسجم مع الحياة، وهو النظير الثابت الذي يستعمل في المفاعلات النووية .

واسالة الماء : تجهيز البيوت بماء صالح للشرب بواسطة شبكة من الانابيب .

وقد يكون التأنيث مميِّزاً، فيقال سَدّة (الجمع سِداد) ويُقصَد بذلك السـدة المقـامـة على ضفـة مجرى ماء تمنع غرق ما وراءها، ويقال سَدّ (الجمـع سُدود) اذا قُصِد ما يُنْشَأ على عرض النهر ليحجز ماءه في خزانٍ كبير، ليستعمل ذلك الماء بعدئذ للري او إنتاج طاقة كهربائية تسمى (كَهْرمائيّة) .

إختيـار المصطلحـات :

يعتمد التعريب على المصطلحات، واختيار المصطلحات امر مهم جداً، وقـد توصَّلنـا الى تعـريف ارجـو ان يكون مقبولاً، وان يكون لهذا التعريف تأثيره في عملية الاختيار، وهو ان اختيار المصطلحات يُعرَّف بأنه

(صيغة او فنّ يعتمد على علوم) مثلما عُرِّف الطب بأنه «صنعة او فنّ يعتمد على علوم an art based on sciences ».

ولقد جرى اختيار المصطلحات بطرق كثيرة يمكن تلخيصها بما يأتي :

١ ـ الجهود الفردية، وتتضمّن :

أ ـ اختيار المصطلحات في فرع من فروع المعرفة.

ب ـ تأليف معجم يتضمن بطبيعة الحال كثيراً من التسميات والمصطلحات.

جـ ـ تأليف بعض الكتب العلمية التي تضمنت تسميات ومصطلحات علمية اختارها المؤلف او نقلها.

د ـ ترجمة بعض الكتب العلمية التي تضمنت مصطلحات كثيرة.

لقد كان للجهود الفردية دور مهم في اختيار المصطلحات وكثير من السادة الافاضل الموجودين قد شاركوا فيها مشاركة كبيرة.

٢ ـ الجهود الجماعية: وهي قيام مجموعة من العلماء بعمل مشترك وتتضمن :

أ ـ ترجمة معجم معيَّن، والمشهور في ذلك ترجمة معجم كلير ڤيل المتعدِّد اللغات في المصطلحات الطبية.

ب ـ قيام مجموعة بتأليف او ترجمة بعض الكتب ووضع مَسْرَد للمصطلحات في الكتاب.

جـ ـ تأليف معجم في احد فروع المعرفة يتضمن كثيراً من التسميات والمصطلحات.

٣ ـ جهود المجامع اللغوية أو العلمية : إعداد قوائم للمصطلحات بما في ذلك التسميات طبعاً في موضوعات عديدة، ويكون ذلك عادةً عن

طريق اللجان، مثل مجمع اللغة العربية في القاهرة والمجمع العلمي العراقي ومجمع اللغة العربية في الأردن.

ب ـ ثم قيام اتحاد المجامع العربية بعقد اجتماعات مشتركة لهذه المجامع او لأعضاء منها لدراسة وإقرار المصطلحات في موضوع معيَّن، أو لبحث مشكلة مهمّة.

جـ ـ ولقد اهتم مجمع اللغة الأردني بصفة خاصة بترجمة الكتب العلمية، ويبدو لي انه بهذا العمل يختلف عن بقية المجامع التي سبقت المجمع الاردني في التكوين، وبعد اطلاعي صباح هذا اليوم على عدد كبير من الكتب المترجَمَة، أُحبّ ان أُهَنّىء الإخوان على هذا الانجاز المهم، ولقد قام المجمع باختيار بعض الكتب الأساسية في العلوم واختيار مترجميها ومراجعي الترجمة، وهذا تطوّر مهمّ في العمل المجمعيّ.

د ـ إعداد معاجم بصورة متكاملة في علوم صرفة او تطبيقية عديدة، كما يجرى الآن في المجمع العلمي العراقي.

٤ ـ جهود المؤسسات والاتحادات:ـ

أ ـ تقوم بعض المؤسسات في بعض الأقطار العربية باعداد قوائم للمصطلحات والتسميات فيما يختصّ بالحقل الذي يهمها او يدخل في اختصاصها.

ب ـ قيام بعض الاتحادات المهنية العربية بتشكيل لجان من أعضاء من اقطار عربية لوضع بعض المصطلحات، وقد تمّ انجاز المعجم الطبي الموحّد بسعي إتّحاد الأطباء العرب، وطبع أول مرّة سنة ١٩٧٣ في بغداد.

جـ إعداد قوائم أو معجمات تعتمد بصفة رئيسية على التنسيق بين إنتاج المؤسسات الأخرى في البلاد العربية مثل ما يقوم به المكتب

الدائم لتنسيق التعريب، الذي يعرض ما يتم إعداده على مؤتمرات دوريّة للتعريب.

٥ ـ جهود الجامعات:

اهتمام الجامعات والمؤسسات العلمية الأخرى في بعض الأقطار العربية بتأليف أو ترجمة الكتب العلمية وتشجيع القائمين بذلك، وربما وضعت خطة لذلك، في سبيل تعريب التعليم الجامعي. ثم ان كثيراً من اعضاء الهيئات التدريسية في الجامعات يشاركون في عملية التعريب بجهودهم الفردية، او بالاشتراك مع آخرين في الجهود الجماعية او بالتعاون مع المؤسسات العلمية والاتحادات المهنية.

إنّ قيام جهات عديدة باختيار المصطلحات (وقد كان لي شرف المشاركة في كثير من هذه المناسبات) أدّى الى وجود كلمات مختلفة للمصطلح الأجنبي الواحد في اقطار عربية مختلفة، وكذلك في القطر العربي نفسه، نتيجةً للاجتهادات المتعددة، وكذلك بين العلوم المختلفة عندما تُعْقَد اجتماعات في أوقات متباينة تَبْحَث مثلاً في الفيزياء وتبحث في الرياضيات، فيُوضَع للكلمة الواحدة في بعض الاحيان مقابلات مختلفة بالرغم من القرب بين العِلْمَين.

ان التنسيق والتعاون بين القائمين بإعداد المصطلحات أمر ضروريّ للتقليل من الاختلافات، وذلك قبل ان تستقرّ مصطلحات كل قطر ويؤدّي ذلك الى بلبلة كبيرة وصعوبات عملية في التعريب على مستوى الوطن العربي. ولنذكر مثلاً واحداً فقد جاء في المعجم الوسيط الذي اصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة: (المِجْهَر والمِجْهار في علم الطبيعة جهاز

تصدر عنه ذبذبات صوتيّة جهيرة بفعل الذبذبات الكهربيّة فيه، وهو المعروف بالمكروفون) بينما المِجْهَر في أقطار عربية كثيرة هو جهاز فيه عدسات تكبِّر ما يُوْضَع تحتها مرّاتٍ عديدة (اي الميكرسكوب).

هذا مثل واضح أمامنا، وتوجد أمثلة أخرى ربما كانت أقلّ وضوحاً.

المعجم الطبي الموحّد:

ولا بدّ من وقفة قصيرة عند المعجم الطبي الموحَّد، فهو جهد مشترك بين عدد من العاملين في المصطلحات الطبية في البلاد العربية، وتمّ بسعي من إتّحاد الأطباء العرب. فقد أُلِّفَت سنة ١٩٦٦ لجنة من اعضاء فضلاء من الأقطار العربية التي فيها كليات طب وطنية راسخة، ثمّ أُضِيفَ اليها أعضاء آخرون، وعقدت اجتماعات عديدة في القاهرة وبغداد والموصل ودمشق ولبنان، بحضور كلِّ أعضائها أو بحضور عددٍ منهم، أُقِرَّت في كل اجتماع مجموعة من المصطلحات والتسميات، وكانت تطبع منجَّمةً في مطبعة المجمع العلمي العراقي وتوزَّع على الهيئات والمؤسَّسات العلمية المعنيّة بأمر المصطلحات الطبية، ولكن لم تصل اللجنة الا اقتراحات قليلة من عدد قليل جداً من العلماء المعنيّين بالمصطلحات الطبية. ولما تمَّ انجاز المعجم جرت اعادة النظر فيه، وأُدْخِلت عليه تعديلات كثيرة، ثم بعد طبعه سنة ١٩٧٣ أُقْتُرِحت تعديلات أخرى في آخر الطبعة الأولى بصفة استدراك، ثم أُدْخِلت فيه في الطبعة الثانية سنة ١٩٧٨. وقد كان لي شرف رآسة تحريره. ولا حاجة لاستعراض تطوّر العمل فيه، ولكنّ من المفيد الاستفادة من المبادىء والاسس التي أُخِذَت بنظر الاعتبار، والتي قد تكون مهمّة في مناسبات اخرى مماثلة، أو عند إعداد معجمات لعلوم أخرى.

قد يبـدو العمل في المصطلحات الطبية والعلمية سهلاً، بفضل ما تتميَّز به اللغة العربية من ثراء وسعَة في الاشتقاق والمجاز، ولوجود تراث حضـاري عظيم يضمّ العـديد من مصـطلحـات الـطب التي استعملهـا الاقدميون واستخدمها المعاصرون، ومما وضعته المجامع العلمية اللغوية في الاقـطار العـربية. ولكنّ تعدّد المعاني للفظ الواحد في معاجم اللغة العربية، والألفاظ المترادفة للمعنى الواحد، أوجب الدقَّة الكبيرة في اختيار الكلمات، كما ان استعمال عدد من الكُتَّاب الكلمات الدخيلة دون مبرِّر وشيوع بعضها زاد في المشكلة وأوجب الإسراع في اختيار المصطلحات المناسبة.

أُسس عامة:

ومن المفيد ذكر الأسس العامة التي يمكن اختيار المصطلحات على هداها.

١ ـ استعمـال كلمة عربية واحدة مقابل التعبير الأجنبي، وعدم استعمال المترادفات الا ما ندر. وبذلك يتحقَّق توحيد المصطلحات بين الأقطار العربية، أمّا اذا وُضِعَت مترادفات دون مبرِّر فسيبقى كل قطر يستعمل ما سبق ان استعمله.

٢ ـ استعمال الكلمات العربية المتداولة، والتي سبق ان استعملها الأطباء الأقـدمـون والعلماء الأقدمون اذا كانت تفي بالغرض العلمي، وترك الكلمات الدخيلة.

٣ ـ الاهتمام بانتاج المجامع او اللجان او العلماء.

٤ ـ اختيار معنى واحد من المعاني العديدة التي وردت في معاجم اللغة للفظ العـربي الـواحـد، واللجـوء الى المجـاز في استعمال الألفاظ بتخصيص معناها العام او تعميم معناها او نقلها الى مدلول آخر ادقّ،

وبذلك يصبح لما يُسَمَّى بالمترادفات مدلولات معيّنة مختلفة، وهذا هو معنى الاصطلاح.

٥ ـ استعمال الصيغ العربية التي سبق استعمالها في الطب والعلوم والقياس على ذلك مثل «فُعال» «وفَعَل» «وفَعُول» وغيرها.

٦ ـ تفضيل الاطِّراد والانسجام في استعمال الكلمات والصيغ، على استعمال كلمات معجميّة خارجة عن الانسجام لا يسهل حفظها وتداولها. مثلاً اذا كان في حالة معيَّنة درجات اولى وثانية وثالثة ورابعة ويوجد في المعجم كلمة تقابل الدرجة الثالثة، فمن المفضَّل ان يقال الدرجة الثالثة وتهمل تلك الكلمة ليبقى الانسجام في ذهن الطالب، وكذلك للأضلاع أسماء ولكن يمكن ان نكتفي للغرض العلمي بالاعداد فيقال الضلع الأول والضلع الثاني وهكذا. إن الأسماء ستبقى في المعجمات وسوف لن تزول منها ويمكن استعمالها عندما يكون في ذلك فائدة، ولكن للغرض العلمي يمكن ان نأخذ ما يحقِّق الانسجام والاطِّراد.

٧ ـ التَّصَرُّف في صيغ النسبة للتمييز أو منع اللبس، فينسب الى البَشَر بَشَري والى البَشَرة بَشَرويّ اذ لا يمكن ان نقول بَشَري، ويقال كذلك في النسبة الى البيضة بيضيّ وبيضويّ، وبيضائي وبيضاوي لاعطاء مدلولات متعددة.

ومثل ذلك استعمال حيوي مقابل bio فيقال الكيمياء الحيوية Biochemistry والاحصاء الحيويّ Biostatistics وكذلك حيويّ vital ولكن يقال إحصاءات حياتيّة مقابل Vital Statistics لتفريقها عن الاحصاء الحيوي.

وكذلك يُنْسَب للمفرد والجمع فيقال جرثوميّ نسبة الى جرثومة، ويقال جراثميّ ويقصد به عالم الجراثيم.

٨ ـ عدم اللجوء الى النحت أو التركيب الا قليلاً، كأنْ تكون الكلمة قد شاع استعمالها، او تكون اللفظة مقبولة مفهومة مثل الكَهْرَلَة (أي الحَلّ الكهربائي) eletrolysis ومنها الكَهْرَل electrolyte . وكذلك في النسبةفيقال فَقْدَميّ نسبة الى فقر الدم. كلُّ ذلك مع إتّباع القواعد والضوابط المقرَّرة.

على انّ هناك اختلافاً في وجهات النظر فيما يختص بالنحت، فنرى عدداً من العاملين في المصطلحات لا يقبلون النحت إلّا في حدود ضيقة جداً، ونرى آخرين يتوسّعون فيه توسّعاً اكثر من الحاجة بكثير ودون مبرِّر، مما يؤدّي الى لغة غريبة لَسْنا بحاجةٍ اليها.

٩ ـ استبعاد الكلمات الدخيلة (الأجنبية المُعَرَّبة) الا اذا كانت اسم شخص او مشتقة من اسمه مثل البلهارزيا Bilharzia او البسترة من اسم باستور او فولط Volt ، او كانت مستعملةً في لغات متعددة ولم يمكن الوصول الى مقابل لها.

١٠ ـ تثبيت سوابق ولواحق عربية مقابلة للسوابق واللواحق الاجنبية، مع الالتزام بها، وتفضيل الصيغ الثلاثية المختصرة في ذلك.

العوامل التي تؤثر في ممارسي التعريب:

هناك مسألة اخرى من الواجب بحثها، وهي دقيقة وشائكة، وهي العوامل التي تؤثِّر في ممارسي التعريب. فالتعريب لا يحدث من نفسه، انما يوجد من يمارسونه، وهؤلاء بشر يكونون تحت ظروف معيّنة تؤثر فيهم، مثل ظروفهم الخاصة أو حالتهم الصحية، او توفّر المصادر والوقت لديهم. ورأيت ان اعطي هذا الموضوع ما يستحقه من الاهتمام، مستندا في ذلك الى التجربة العَمَليّة.

١ ـ الايمان بوجوب التعريب وحتميَّته، وهذه مسألة اساسية في الممارسين لهـذا العمـل. والايمـان بالتعـريب وجـدواه لا يوجب الاندفاع الى التعـريب الفوريّ قبل استكمال متطلباته، وانما ان يكون مؤمناً على المدى القصير والبعيد بوجوب التعريب وحتميَّته.

٢ ـ الجِدِيّة في العمل سواءً كان فردياً أو جماعياً. إن عدم المبالاة من اكبر العوامل المثبِّطة، وتعرقل الانتاج الصحيح.

٣ ـ العـوامـل الشخصية، كاستعمـال ممارسي التعريب كلمات سبق ان استعملها في كتاب او بحث فيلتزم بها دون مبرر، او استعملها اصدقاؤه أو زملاؤه فيكون لديه شيء من الارتباط العاطفي مع تلك الكلمات، او إتِّباع مدرسة معيّنة لا يحيد عنها.

٤ ـ الأقليمية، وقـانـا الله منهـا، إذ يلتـزم البعض بمـا سبق ان أُقِـرّ من مصطلحات في بلد معيَّن او قطر معيَّن، وهذا شيء طبيعي في كثير من الأمور، أن يلتزم الشخص بما استعمله أو ما أُقِرَّ في قطره او جامعته او مجمعه، ولكن عندما نأتي الى مستوى الوطن العربي كله او الى اللغـة نفسهـا فلا مجـال إلا للتـدقيق واعادة النظر في الاقليمية، لأنَّ الآخرين ايضاً لديهم كلمات ولديهم مقرَّرات، فيجب التوصُّل الى حلٍّ يكون مقبولاً لدى الجميع.

٥ ـ ويجب الالتفات الى نقاط التلاقي قبل نقاط الاختلاف، والواقع ان الكلمـات موضـع الاختـلاف هي قليلة. فاذا اجتمـع العـاملون في المصطلحات التي تخصّ الطب او الكيمياء او الفيزياء وأَقَرّوا وأنجزوا ما هو متَّفق عليه أوّل الأمر، فسنجد ان ما يُخْتَلَف عليه سيكون قليلاً. أمّا إذا بدأوا بما هو مُخْتَلَف عليه، فسيذهب الوقت كله قبل التوصُّل الى اتفاق على ما هو مقبول. وهذه مسألة علميّة ونفسانيّة.

٦ ـ اللغة الأجنبية التي يؤخذ عنها وهي الانكليزية او الفرنسية بصفة عامة، فاختلاف مدلول بعض المصطلحات فيهما يؤدّي الى نوع من الاختلاف في وجهات النظر عند اختيار المقابل العربي، واحسن حلٍّ في هذه الحالة هو ان توضع كلمة عربية لمدلول تلك الكلمة لا ترجمة لها.

٧ ـ الحماس ليس كافياً من دون معرفة رصينة باللغة العربية واللغة الأجنبية وإطّلاع مناسب على العلم موضوع البحث، ومع ان هذه مسألة معروفة، ومع أنّ مؤهّلات اعضاء اللجنة يكمّل بعضها بعضاً، إلّا أنّه ربما يحدث في مؤتمرات التعريب، ان يُصْبِح احدُ الممثلين عضواً في لجنة ما، ويكون اطلاعه في شؤونها قليلا، فيكون في موقف حرج، ولكن ذلك قليل الحدوث ويكون في المؤتمرات الكبيرة.

٨ ـ تتألف اللجان عادة من مختصّين بالموضوع، او أنْ يكون بينهم خبير أو أكثر، ويكون بينهم عادة مختصّ باللغة العربية، ومن الضروري ان يكون عالماً بالصَّرْف، لان الإشتقاق هو من اهمّ ما يفيد فيه. اما اذا أراد الالتزام بالنصّ الموجود في معجم اللغة فقط فتكون فائدته محدودة. ويستحسن ان يكون ذا معرفة باللغة الاجنبية التي يؤخذ عنها، وعلى اطلاع على تركيب الكلمات فيها.

٩ ـ ان التطوّر الذي يحدث مع سير العمل مُهمّ، خاصّة اذا استمر العمل سنواتٍ كثيرة ومن ذلك ان الشباب يزدادون نضجاً، وان المُسِنّين يقتربون من الوقت الذي يحتاجون فيه الى الراحة، كما انّ الحالة الصحية والحالة النفسانية والظروف التي تؤثر في الشخص لها اهميتها. إنّ هذه النقاط قد لا تكون ظاهرة تماماً. ولكن لها تأثيرها من الوجهة العَمَليّة.

١٠ ـ ان القابليّات الشخصية والاطلاع الواسع على العلوم وعلى اللغة، والخبرة الطويلة في الممارسة الفعلية للمصطلحات، تميِّز العاملين في شؤون التعريب عن بعضهم، لأنّ اختيار المصطلحات كما عَرَّفتُهُ هو «فنّ او صنعة تعتمد على علوم».

١١ ـ وهناك مسألة التطور في المصطلحات، فإنها قابلة للتطوّر ويجب ان تتطوَّر، ولكنَّ هذا يجب ان يحدث ضمن حدود التطور المعقولة، كأنْ يضيق او يتّسع المدلول حسب التطور العلمي في المفهوم والدلالة. اما التبديل الناتج عن عدم الدِّقة اول الامر او التسرُّع وعدم الدقّة عند التبديل، فأمر لا مبرِّر له، ويؤدّي الى البلبلة ويُفْقِد الثقة بالمصطلحات. قد يكون مصطلح وُضِعَ قبل عشرين او ثلاثين او خمسين سنة واستقرّ، ثم تبدَّل المدلول العلميّ واصبحت تلك الكلمة لا تفيد المعنى الكامل للمصطلح، فهل من الضروري الآن ان تُبدَّل؟ فهي مصطلح تعني ما هو مقصود بها. وهذا موجود في اللغات الاجنبية كذلك، فكثير من الكلمات الاجنبية لا تعني مدلولها في الوقت الحاضر اذا تُرْجِمت حرفيّاً، ولهذا فمن الضروري في المصطلحات ان لا نلجأ الى الترجمة فقط، وانما الى الترجمة والوضع والاختيار المناسب.

١٢ـ ومن المفيد ان أذكر حادثة مهمة في شؤون المصطلحات، ففي احد المؤتمرات المشتركة بين بعض المجامع العربية، حدثت مناقشات عن المصطلحات وتقرّر تشكيل لجنة مشتركة للنظر في قواعد اختيار المصطلحات العلمية والطبية تكوَّنت من زملاء افاضل من اقطار عربية متعددة، ولكنَّهم لم يتمكنوا من البدء بالعمل، لضيق الوقت من جهة، ولأنّه لم يتم وضع قاعدة لبداية العمل او السير فيه، لا بسبب اختلاف وجهات النظر، لان وجهات النظر لم تُبْحَث، وإنّما قال احدهم هل

نحتاج الآن ان نضع قواعد، وقد مُوْرِسَ وضع المصطلحات سنواتٍ وسنوات؟

إقـرار المصطلحـات:

ان لاقرار المصطلحات طرقاً مختلفة في المؤسساتِ العديدة، نذكر أهمها:

١ ـ ينظر المجمع العلمي العراقي في المصطلحات التي تعدُّها اللجان فيه اثناء السنة المجمعية، وتُبْحَث في عددٍ مناسب من الجلسات.

٢ ـ ينظر مجمع اللغة العربية في القاهرة في المصطلحات اثناء المؤتمر السنويّ للمجمع الذي يستمرّ بضعة أسابيع عادة، ويُدْعَى اليه اعضاء المجمـع من خارج مصـر، وتكـون اللجـان المختصّـة قد أعـدّت المصطلحات قبل ذلك.

٣ ـ ينظِّم إتّحاد المجامع العربية اجتماعات للمصطلحات، تُنْظَر فيها قوائم المصـطلحات التي تُعَدّ قبل ذلك، ويكون اكثر الحاضرين عادة من البلد الذي يُعْقَد فيه الاجتماع.

٤ ـ مؤتمرات التعريب التي ينظمها المكتب الدائم لتنسيق التعريب، ينظر فيها ممثلون من الاقطار العربية في قوائم المصطلحات التي يجمعها ويعدُّها المكتب، ويجرى إقرارها في لجان تؤلَّف اثناء المؤتمر، وقد حضـرتُ أحـدَهـا. ثم بعد ذلك تُعَدّ للطباعة والنشر، وتُشَكَّل لجان للتنسيق بين مختلف العلوم والاشراف على الطباعة. ولقد تمَّ طبع ونشر بعض كتب المصطلحات.

والذي ادعو له بهذه المناسبة هو إجراء دراسة رصينة وتقييم صحيح لهذه الاجتماعات ولما تؤدّي اليه من خدمة فعلية. كَأَنْ تدرس بطريقة علمية إحصائية المصطلحات التي قُدِّمت والتعديلات التي اجريت ثم بعد ذلك

التعديلات التي اجرتها اللجان التي واجبها التنسيق والطبع، ونخرج بدراسة مهمة في هذا الموضوع.

مصادر الكلمات العربية المناسبة:

وهـذا أمـر مهم يختلف العـاملون في حقـل المصطلحات فيه عن بعضهم، ويتميَّز به المقتدرون. فان الاكتفاء بالمعاجم اللغوية لا يكفي بل يجب الاستفادة من المعاجم المتخصِّصة وكتب فقه اللغة، وكتب التعريفات والكتب التي تبحث في موضـوع المصـطلحـات وكتب الحضارة العامة، ونذكر بعض الأمثلة:

١ ـ المعاجم العامة ـ مثل الصّحاح ولسان العرب والقاموس المحيط وشرحه تاج العروس، وغير ذلك.

٢ ـ المعـاجم المتخصصة كالمخصَّص لابن سِيدة وكتب فقه اللغة. ان ترتيب المادة اللغوية فيها حسب المواضيع يجعلها لا غنى عنها، ومن الممكن ان يُجْعَـل لبعض كلمـاتهـا مدلولات دقيقة إصطلاحاً، مع تجنب الكلمات الوعرة الواردة فيها.

٣ ـ كتب الاصـطلاحـات العـامـة مثـل مصـطلحات الفنون للتهانوي او التعريفات للجرجاني، وكتب خلق الانسان، وبحر الجواهر للهروى وقاموس الاطبا وناموس الالبا للقوصوني.

٤ ـ كتب العلوم المختصـة مثـل كتب الـطب العـربية القـديمـة وكتب الرياضيات والفلك والكتب التي تبحث عن الحيوانات والنباتات.

٥ ـ المؤلفات العامة في الحضارة والآداب والتاريخ.

ومن الضـروري ان نقف هنـا عنـد المعـاجم وعنـد كتب العلوم المختصَّـة، فالمعـاجم اللغـوية تمثِّل في الأغلب المفردات اللغوية التي

اعتبرها المؤلفون فصيحة، وأُخِذَت عن عدد من القبائل. ولقد ظهر لنا من دراسة في هذا الموضوع أنّ الاعتماد الاكبر كان على رجال من القرن الثاني الهجري، وان المعاجم المعتمدة يأخذ اللاحق منها من السابق معظم المادة اللغوية، مع نقدٍ او تأييدٍ او اضافةٍ، ولكنّها لم تخرج عن الاتجاه العام في المحافظة على المدلول القديم. وألّف كثير من المعاجم المعتمدة في القرن الرابع الهجري، والفترة بينها وبين المعاجم التي تلتها مديدة، فالفترة بين الصحّاح والقاموس المحيط أربعة قرون، والفترة بين لسان العرب وتاج العروس للزبيدي خمسة قرون، ولقد أخذ الزبيدي كثيراً من لسان العرب كما هو واضح من المقارنة، ولم نجد صدى لهذه القرون في مادّة المعاجم، ولم تتضمّن التطور الذي مرّت به الأمة خلال هذه المئات من السنين.

ففي مادة (جبر) في تاج العروس للزبيدي (انجزه سنة ١١٨٣هـ) التي استغرقت ست صفحات كبيرة لا نجد ذكرا (للجبر) بمعناه الرياضي، بالرغم من شيوع استعمال الكلمة في اوساط الدراسات الرياضية.

واذا قبلنا ما قيل من ان المعاجم اللغوية استبعدت الكلمات المستعملة في المدن المهمة، علمنا الخسارة الكبيرة التي حلّت باللغة العربية من استبعاد كلمات المدن واستعمالات سكانها، والتي كانت تتضمّن تطوّراً ثقافياً وحضارياً وعمرانياً واقتصادياً كبيراً. ولا بدّ من إعادة تقييم هذه الامور فلا يصحّ أن يقال أنّ مدن الحجاز لم يؤخذ عنها، ونحن نعلم ان قريشاً كانت من افصح العرب.

وهناك مشكلة الالتزام بالمعنى الحرفي لما ورد في المعاجم، وكذلك الالتزام بالصيغ الواردة فيها كما يريده بعض (حُرّاس اللغة)، متناسين انّ من اهمّ خصائص اللغة العربية الاستعارة والمجاز ومن اهم مميِّزاتها الاشتقاق.

ان ما يأخذ كثيرا من الجهد والوقت في اختيار التسميات والمصطلحات هو المناقشات التي تنصبُّ دائماً على المدلولات المعجمية، وعدم ملاحظة ان كثيراً من كلمات اللغة العربية قد تطوّر معناها بعد ظهور الاسلام فاصبح لها مدلولات معينة وتمت الاشتقاقات منها كذلك، وهذا خير مثال يُحْتَذى، ولكن الجمود على مقالة بعض المؤلفين في الفترة التي تلت ذلك أضرّ بتطور اللغة العربية، ان ما أجازه بعض اولئك العلماء يكون مقبولاً وان لم يجزه آخرون، فان الاجتماع في امور اللغة لم يكن مطلوباً في يوم من الايام.

ثم ان هناك اختلافاً بين المعاجم اللغوية في بعض الامور الدقيقة التي لها اهميّة خاصّة في المصطلحات العلمية، فاذا نظرنا مثلاً الى ما ورد في (سِنّ الانسان) في المعاجم اللغوية والكتب الطبية نجد كثيراً من عدم الانسجام، مما يوجب الاختيار، ومن اهم ذلك مدلول كلمات الصبي والفتى والشاب، وهنا تظهر اهمية الشخص الذي يختار المصطلحات. وكذلك اذا نظرنا الى ما ورد في النوم وأنواعه ودرجاته، نجد اختلافاً في ذلك بين المعاجم ولا ضير من ذلك، فان الاختيار الصائب من بين هذه المدلولات واعطاءها صفة الاصطلاح والالتزام بذلك يجعل بين ايدينا عدداً كبيراً من المصطلحات المناسبة.

وتتضمن المعاجم اللغوية مدلولات غير دقيقة لبعض الاسماء، مثلا الأَبْهَر وهو الشريان الرئيس الذي يخرج من البطين الايسر من القلب، ففي القاموس المحيط ما يأتي (الابهر: الظهر، وعرق فيه، ووريد العنق، والاكحل) فاستعمال الابهر للمدلول المذكور واهمال المدلولات الاخرى في الوقت الحاضر صائب. والأَدَمَة مُحَرّكة باطن الجلدة التي تلي اللحم،

وظـاهـرها الذي عليه الشعر، وما ظهر من جلدة الرأس. والبَشَر، محركة الانسان. . وظاهر جلد الانسان قيل وغيره، جمع بَشَرة. فاختيار كلمة الادمة لباطن الجلدة فقط اختيار صائب، وإن كانت تعني ظاهر الجلد كذلك، وترك هذا المعنى، واستعمال البشرة لظاهر الجلد، صائب.

كلمات صحيحة وكلمات «دخيلة»:

توجد بعض الكلمات المستعملة في كثير من الاقطار العربية، ولا يوجـد ما يدلّ على كونهـا غير عربية، ولكنها ليست موجودة في المعاجم اللغوية، وهي تؤدي في الوقت نفسه مدلولاً علمياً دقيقا، فهل يجوز اهمالها؟

نذكر مثلا على ذلك كلمة(الكاحل)، فهي كلمةمستعملة في كثير من الأقطار العربية للدلالة على المفصل بين الساق والقدم (ankle) ، ولا يوجد له كلمة اخرى الا كلمة (الايبس) في مقالة اسماء أعضاء الانسان، وهي كلمة تؤدي الى كثير من اللبس، والكاحل في القدم، والكاهل موقع السنام او لِنَقُل أعلى الجسم، مما يجعل بينهما شيئاً من المقابلة، ولكن كان هناك تردُّد كبير في قبـول كلمة الكاحل في المصطلحات، إلا انّها وُجِدَتْ في معجم المورد للبعلبكي الذي يبدو انه اخذها من كلام الناس وحسناً فعل. ان هذا يعطي فكرة عن تقديس الكلمة المكتوبة.

ان ما ادعو اليه هو دراسة الكلمات المستعملة في الكلام الاعتيادي، وان لم تذكرها معاجم اللغة، على ان لا تكون اجنبية، وهذه نقطة أساسية فأنا لا أدعو الى استعمال كلمات دخيلة في اللغة العربية. ولكن يوجد كثير من هذه الكلمات يبدو ان واضعي المعاجم اهملوها، وبقيت مئات السنين

مستعملة في اماكن كثيرة، فلماذا لا نستفيد منها في التسميات والمصطلحات؟

ولقد اشارت بعض الكتب الى بعض الكلمات بأنها معرَّبة (دخيلة)، وهناك شك كبير في صحة هذا الادعاء، وأرجو إعادة النظر في هذا الموضوع.

هذه الكلمات ليست معرَّبة، وهؤلاء المؤلِّفون كالجواليقي، لسببٍ أو لآخر وضعوا هذه الكلمات بين المعرَّبات، وبعضاً يقولون نظن كذا ونظن كذا. ان كثيراً منها عربية صحيحة من قبائل اخرى، او من اللغات العربية القديمة التي استعملها البابليون والاشوريون والفنيقيون والاراميون، وهؤلاء الاقوام جاءوا من جزيرة العرب ومعهم لغاتهم، فهم عرب أقدمون، والجواليقي وغيره لم يكونوا يعلمون ذلك، ويجب على الباحثين في الوقت الحاضر أن يمحِّصوا هذا الموضوع.

ولبعض المصطلحات المعرَّبة مرادفات عربية، لكنها غير مستعملة، فمثلاً جاء في كتاب البيان في تدبير الابدان (ص١٢٦) [القولنج وهو داء عظيم يتولّد في الامعا المسمى قولون اي الاجوف وهو في الجوف مما يلي الناحية اليمنى من اسفل البطن، ثم يستدير في المنطقة متعرضاً الى الجانب الايسر] فلماذا نحافظ على كلمة قولون وهي دخيلة؟ ولا نقول المعى الغليظ او الأَخْوف.

ثم لا بدّ من استعادة الكلمات العربية التي دخلت اللغات الأجنبية، دخلت اليونانية او اللاتينية او غيرها، ومن الصعب ايجاد أصلها العربي.

ولكن الأصول العربية تظهر بالتدريج في الاكتشافات الحديثة في الاثاريات او في الكتب القديمة.

انطباق المصطلح على المدلول:

نستعمل هنا اصطلاح (الانطباقيين)، واقصد به الذين يريدون «ان تكون الكلمة المعجمية مطابقةً تماماً للمعنى المقصود من جميع النواحي»، وهذا أمر ليس مفروضاً ولا مطلوباً في المصطلحات فلا يشترط ان يكون مدلول الكلمة العربية شاملا لكل مفهوم المصطلح الاجنبي، وإلاّ صار تسميةً ولم يكن مصطلحاً، ثم هل ان المصطلح الأجنبي يؤدّي مثل هذا المدلول الشامل؟

هؤلاء «الإنطباقيّون»، عليهم ان يعيدوا النظر في موقفهم. ولا بدّ من الاشارة الى الاشتقاق الذي هو من اهم اسباب تطور اللغة، ويجب ان يؤدّي الى مدلول مُمَيِّز، ولأذكر مثلا كلمة تقويم وتقييم، وكيف ان الاستعمال الحاضر يوجب استعمال هاتين الكلمتين، فالتقويم بمعنى الاصلاح، والتقييم بمعنى معرفة القيمة العلمية والمعنوية او المادية، وان يكون التقييم لغرض التقويم. فاذا استعملنا كلمة التقويم فقط، فكيف نعرف ما هو المقصود بها، ان اشتقاق كلمة تقييم صحيح، فهي مشتقّة من القيمة، اما القول بأن الياء في القيمة اصلها واو فلا يجوز قلبها الى ياء فغير صحيح اذ توجد مصادر تجيز قلب الواو الى ياء في الاشتقاق.

استقرار المصطلحات، ونقد المصطلحات:

ان عدم الاستقرار في اختيار المصطلحات يؤدّي الى عدم الثقة بها ويسبب بلبلةً وارتباكاً، ولنذكر امثلة على ذلك:

الكليــة: ذكرتها كل كتب الطب العربية (مثل كامل الصناعة الطبية لعلي بن عبـاس، والقـانـون في الـطب لابن سينا، وشرح التشريح لابن النفيس، والكُلّيّات لابن رشد). ووردت في المعاجم، جاء في القاموس المحيط (الكُلْيتان بالضم، واخذتها كلية وكلوة). فماذا يجب ان نستعمل في الوقت الحاضر كلية أم كلوة؟ طبعاً نستعمل كلية لانها استعملها الأطباء العرب ويستعملها الناس، فهل العدول عن كلية الى كلوة صحيح؟ هذا مثل اضربه لما يجري احياناً، ينظر الباحث في المعجم اللغوي فيرى انه يذكر كلمتين، فيختار احداها دون تمحيص.

الصِّفـاق: استعملت مقـابل aponeurosis منذ مدة طويلة، ولكن استعملت مؤخـراً مقـابل البريطون poritoneum إستناداً الى كتب الطب العربية القديمة، ولكن لدى الاطلاع عليها نجد انها تذكر صفاق الصدر وصفاق العين وصفاقات الابط وصفاق بطون الدماغ بالاضافة الى صفاق البـطن، ثم ان الاطبـاء العرب القدامى استعملوا كذلك الكلمة الدخيلة بريطون، وقالوا ويسمى المدوّر.

وهناك أمثلة كثيرة لا حاجة لذكرها وقد اخذت كثيرا من الوقت وهناك ظاهـرة أخـرى وهي نقد المصطلحات. النقد سهل، ولكنّ عمل الشيء اصعب بكثير من نقده. أعرف معجماً من المعجمات الأجنبية تُرْجِم قبل ثلاثين سنة تقريبا واستمر أحد الأساتذة الأفاضل ينتقده حتى السنة الماضية، وقد توفي المترجمون الأفاضل كلّهم.

ان النقد مفيد ومهمّ ولكن يجب ان يخرج عن ارى كذا ويرى كذا، ويجب ان لا يقلّ الجهد في إعداده عن الجهد في اختيار المصطلحات نفسها.

انجاز المصطلحات المقبولة:

١ ـ مراعاة الانسجام من اهمّ ما يجب الاهتمام به في العلم الواحد وبين العلوم المتعدِّدة فلا يجوز ان يكون هناك كلمات عربية مختلفة مقابل كلمة اجنبية واحدة في العلم نفسه او في العلوم الأخرى، إلا اذا كان المدلول مختلفاً.

٢ ـ عند اختيار المصطلح العربي يجب ان يكون مقابلاً للمفهوم الصحيح الحالي للكلمة العلمية لا ترجمةً حرفيةً لها، وذلك لتبدُّل مدلول بعض المصطلحات، وكذلك استعمال المصطلحات التي يذكرها المكتشفون العرب.

٣ ـ مراعاة الإستقرار، فلا يجوز تبديل المصطلحات دون مبرِّر قوي صحيح وإلاّ فُقِدَت الثقة بها، وقلَّ الاعتماد عليها. وقد يحدث أحياناً في اللجنة نفسها ان تبدَّل مصطلحات سبق ان أُقِرَّت ونُشِرت بسبب حضور أو غياب بعض الأعضاء أو تبدّل بعضهم. على انّ هذا لا يمنع التطوّر العلمي الصحيح مع تطوّر المعرفة نفسها.

٤ ـ الابتعاد عن الكلمات الدخيلة وعدم ادخالها في قوائم المصطلحات في الوقت الحاضر والا استقرَّت فيها. أمّا القول بأن العرب في العهد العباسي استعملوا الكلمات الدخيلة عند الترجمة، فهو قول مبالَغ فيه، فلدى الاطلاع على تلك الكتب وجدنا ان الحُذَّاق من المترجمين استعملوا قليلاً من الكلمات الدخيلة وكانوا يضعونها بسبب الكلمات العربية، مثلاً: القياس (انا لوجسمس)، الأَبْهَر (الاورطي).

٥ ـ استعمال صيغ كثيرة من صيغ الاشتقاق في اللغة العربية، خاصّة الصيغ القليلة الاستعمال في الوقت الحاضر، وذلك لإضفاء صفة الإصطلاح عليها، وقد نشرنا مؤخَّراً بحثاً عن صيغ إفْتعال وإنْفعال وتَفْعال وفَعْلُون، وذكرنا امثلة على هذه الصيغ من الكلمات العلمية

التي نجد حرجاً كبيراً في إيجاد مقابلات عربية لها في الوقت الحاضر.

٦ ـ التعاريف: تُنْشَر أحيانا تعاريف للمصطلحات باللغة العربية، ومع ما في ذلك من فائدة إلا أنّه فيه مشاكل، فان المصطلحات تُنْشَر عادة اجزاء ولا تكون كلها مُقَرَّة، فتستعمل في التعاريف كلمات غير مستقرَّة ربما تُسْتَبْدل بعدئذٍ،مما يحدث ارتباكاً. ومن المفيد نَشْر التعاريف عند انجاز عدد مهم من المصطلحات في ذلك العلم، فتُسْتَعْمل نفس المصطلحات في التعاريف، خاصَّة اذ أُنْجِزت الكلمات الكثيرة الاستعمال.

٧ ـ استعمال الحسَّابة Computer في اختيار المصطلحات، إذ أنّ ذلك يسهِّل العملية تسهيلاً كبيراً.

٨ ـ ومن الضروري الاهتمام بالمصطلحات ذات الاستعمال العام. فما زالت كلمة كومبيوتر Computer مستعملةً، ويقولون الحاسبة الالكترونية والدماغ الالكتروني، ولكن كلمة حَسَّابة هي خير مقابل، وقد قالت العرب النَّسَّابة والعَلَّامة، ويمكن الاشتقاق منها فيقال حَسَّب تَحْسِيباً وما شاكل ذلك.

وكذلك كلمة القمر الصناعي او التابع الارضي وبالانكليزية ساتيلايت Satellite ولا يوجد في الانكليزية فعل لهذه الكلمة، وite للتصغير. أنا أدرس هكذا كلمات عندما لا أجِد لها فعلاً، فوجدت السَّاتِل هو التابع الذي يدور حول غيره، فلماذا لا نستعمل كلمة الساتل مقابل satellite ساتيلايت، لِأنَّ كلمة القمر الصناعي غير صحيحة وكلمة التابع الارضي غير دقيقة، ولدينا كلمة عربية واحدة، ستشتهر اذا استعملت في الصحف ووسائل الاعلام، وسيعرفها الناس كما عرفوا غيرها، وكلمة ترانسستور transistor يمكن ان يُسْتعاض عنها بكلمة نَيْقَل على وزن فَيْعَل

وهـو المعنى الـدقيق لهـذا المصطلح للاجنبي، ولا مانع من اضافة التاء المدورة فتصبح نيقلة، إسم آلة.

ان المهم هو استعمال المصطلحات التي يتم اختيارها، وان هذا من واجب الكُتّـاب الذين يقومون بتأليف الكتب او نشر البحوث والمقالات، ووسائل الإعلام كالصحف والمجلات والاذاعة والاذاعة المَرْئيّة.

ثم انّ الملاحظ ان بعض الانتكاسات او الردّات العامة يتأثّرُ بها بعض المثقّفين وتؤثّـر على الاتجـاه حتى في التفكير العلمي والتفكير اللغوي، ويكونون بحالة (إنتكاسة او ردّة فكريّة) بينما واجب المثقّفين ان يعملوا على انتشال المجتمع من هذه الانتكاسات.

الخطوات العلمية للتعريب:

انّ الخطوات العلمية للتعريب بمدلوله الحديث يجب ان تشمل:

١ ـ إعـداد المصـطلحـات باللغـة العـربية، واعني بذلك المصطلحات الاساسية والباقي ينشأ تدريجياً.

٢ ـ تهيئـة المـدرسين والبـاحثين. والآن يوجـد كثيرون ممن يحملون المؤهّلات العالية.

٣ ـ تهيئة مصادر المعرفة من كتب ودوريّات.

٤ ـ اصـدار دوريّات تتـضمّن الجـديد في العلم والتقنيات على هيئـة خلاصـات او مقـالات مراجعة review articles ، وهي موجودة في اللغات الاجنبية، ويصدر بعضها بأكثر من لغة، ويمكن الاتفاق مع احدى المجلات العالمية الطبية مثلاً التي تصدر بأكثر من لغة على ان تصـدر طبعـةً باللغـة العـربية في الـوقت الحـاضـر تستعمـل فيهـا المصطلحات المقرَّرة تُنْشَر في عين الوقت تقريباً مع الأصل الأجنبي،

فلا يكون هناك انقطاع في تقدُّم المعرفة، ويمكن بعدئذٍ إصدار هكذا مجلات علمية باللغة العربية على مستوى الوطن العربي، وتُسَمَّى مثلاً مُخْتَصرات ومُراجعات الكيمياء أو الفيزياء العربية.

٥ ـ نشر البحوث باللغة العربية كذلك. وليكون لدينا علم عربي نحتاج الى بحوث عربية. إن معظم الكلمات في العلوم مستندة الى أصول محدودة، فاذا تمكَّنّا من وضع او اختيار هذه الاصول الاساسية فسيتمكن المؤلفون انفسهم من الصياغة والتركيب والإضافة، فتتكون حصيلة كبيرة من المصطلحات تساير الزيادة الكبيرة السريعة في مصطلحات العلوم.

التعريب في العراق:

تفضّل الأستاذ الفاضل رئيس المجمع فطلب مني برسالته اذ اذكر شيئاً عن التعريب في العراق. لقد كان التدريس في المدارس الابتدائية والثانوية في العراق باللغة العربية منذ تأسيس الحكم الوطني بعد الحرب العالمية الأولى، وكانت الثقافة قبل ذلك عربية، والدراسات الاساسية في الكتاتيب والمدارس الاهلية كلها عربية. وعندما احدثت دراسات فوق الثانوية مثل مدرسة الحقوق ثم جامعة آل البيت كان التدريس فيها باللغة العربية، وهو الأمر الطبيعي.

ولكن انشاء كلية الطب في بغداد سنة ١٩٢٧ وعدم وجود عدد كافٍ من الأطباء العراقيين والعرب يتمكنون من التدريس في الكلية، أدّى إلى الاستعانة بالأطباء الأجانب خاصّة من بريطانيا، فكان التدريس باللغة الانكليزية من قبل المدرسين الأجانب والعراقيين، وكذلك الكتب، الا الطبّ العدلي (الطب الشرعي) فكان يُدَرَّس باللغة

العربية والّف استاذه كتاباً بها، ثم دُرِّست امراض العيون وبعض المواد الاخرى بالعربية كذلك. غير أنّ (نظام الكلية) كان قد نصّ على أنّ الأصل هو التدريس باللغة العربية وأنّ استعمال اللغة الأجنبية هو امر وقتيّ، ولكن التدريس باللغة الانكليزية استمرّ مع العِلم ان الأساتذة العراقيين موجودين بكفاءة واعداد مناسبة، ولكن المشكلة كانت توفُّر المصادر العلمية من كتب دراسية وكتب اختصاصية ومجلات ودوريّات باللغة العربية تضمن المحافظة على مستوى علميّ مقبول ومتطوِّر بسرعة مناسبة. ولقد اشرت قبل قليل الى الخطوات التي يجب الاسراع في تنفيذها لنضمن التعريب.

ولكن كانت تنشر كثير من الدراسات والبحوث باللغة العربية آنذاك، وعندما كتبتُ بحثاً طويلاً عن حالة التغذية في العراق نُشِر في مجلة كلية الطب ببغداد باللغة الانكليزية سنة ١٩٤٩، قمت بكتابته باللغة العربية كذلك ونُشِرَ في نفس العدد من المجلة، وأمكن تجاوز مشكلة المصطلحات، رغم انّها كانت آنذاك قليلة باللغة العربية.

ثمّ لما أُنْشِئت دار المعلمين العالية (كلية التربية الآن) كان التدريس فيها باللغة العربية ولا يزال كذلك ويشمل ذلك المواضيع العلمية (الرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلوم الاحياء) بالاضافة الى الموضوعات الأخرى على ان انشاء كلية العلوم وكلية الهندسة رافقه التدريس فيهما باللغة الانكليزية للأسباب نفسها التي أدَّت الى التدريس بها في كلية الطب.

ولكن الواقع ان هذه الكليات التي يُدَرّس فيها باللغة الانكليزية، يجري التدريس فيها بلغة مزيجة من العربية والانكليزية، فتُسْتَعْمَل

المصطلحات الاجنبية مع الشرح العربي، عدا المحاضرات النظامية فتُلْقَى عادةً باللغة الانكليزية.

غير ان التـدريس باللغـة الأجنبية في العـراق في المستـوى الجـامعي في بعض الكليات ليس مُقَـرَّراً من أجـل التدريس باللغة الأجنبية لِذاتِـه، ولكن لظروف تتعلّق بالتـوسُّـع الكبير في التـدريس الجـامعيّ والـطبيّ وعدم وجود مدرسين يتمكّنون من التدريس باللغة العـربية، أمـا المواضيع التي يتوفر فيها المدرسون باللغة العربية مع المصادر اللازمة فكانت تُدَرَّس بها.

أمـا التـدريس في المؤسسـات المهنيّة فهـو باللغـة العـربية مثل الممرضات والموظفين الصحيين ومساعدي الاطبّاء والتقنيّين بصفةٍ عامةٍ، وكـانت قد وُضِعَت مصـطلحـات عربية للآلات وأجـزائها ولِأعمال دوائر ومؤسسات الدولة منذ العشرينات.

وعندما تقرَّر قبل بضع سنوات السير قُدُماً بالتدريس في الجامعات في العراق باللغة العربية على جميع المستويات، ظهرت حركة كبيرة في التأليف باللغـة العـربية والتـرجمـة اليها، واسْتُعْمِلت المصطلحات المتوفِّرة لدى المؤلفين او المترجمين، ولجأ البعض عند الحاجة الى استعمال الكلمات الأجنبية بحروف عربية كما حدث في اقطار عربية اخرى، ولكن يبدو أنّ هذه فتـرة مؤقتـة، فعنـدمـا تتوفر المصطلحات العربية ستأخذ محلّها الطبيعي والمناسب. ويتضمّن كثير من هذه الكتب مَسْرَداً للمصطلحات في آخرها. ولدى الاطلاع على قوائم إيداع الكتب في المكتبة الوطنية في بغداد تبيَّن أنّ هناك زيادة مطَّردة في نسبة الكتب العلمية الى مجموع الايداع، فمنذ سنـة ١٩٧٩ الى سنة ١٩٨٣ (خمس سنوات) ازدادت نسبة ايداع الكتب

العلمية من ٧ر٣٪ الى ١٢/٣٠٪ بصورة مطّردة. وكان عدد الكتب المؤلّفة في العلوم البحتة (الصرفة) وتشمل الرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلوم الاحياء) والعلوم التطبيقية (وتشمل الهندسة والطب والتغذية والزراعة) ٢٠٦ كتب منها ٣٠٪ في العلوم البحتة و٧٠٪ في العلوم التطبيقية. وكانت الكتب المُتَـرْجَمة ١٠٠ كتاب منها ٣٣٪ في العلوم البحتة و٦٧٪ في العلوم التطبيقية، ويكون عدد الكتب المؤلّفة والمترجَمة في العلوم البحتة ٩٤ كتاباً وفي العلوم التطبيقية ٢١٢ كتاباً، مجموعها ٣٠٦ كتب في خمس سنوات، وهذا انتاج كبير. وقد استثنينا من ذلك الكتب التي تُطْبَع للدراسات الثانوية وما يعادلها والنشرات العلمية الصغيرة التي تعدُّها الدوائر والمؤسَّسات الحكومية ولا تدخل ضمن البحوث العلميّة. ولا شكّ أنّ للتشجيع الكبير والدعم المتواصل دوراً مهماً في ذلك.

وكان المجمع العلمي العراقي يولي المصطلحات عنايةً خاصّة، ولكن في السنوات الاخيرة اخذت المصطلحات المقام الاول فنشطت اللجان لانجاز معاجم كاملة، وخصَّص المجمع معظم جلساته لمناقشة هذه المصطلحات. وكانت تُنْشَر في السابق في مجلة المجمع، ولكنَّها اصبحت تُنْشَر الآن في كتاب مستقل بعنوان (مصطلحات علمية)، صدر القسم الاول منه سنة ١٩٨٢ ويشتمل على مصطلحات في علم الفيزياء وعلم الاحياء والهندسة المدنية والري والبزل وعلم الغابات وعلم النفس والامراض العقلية. ويُطْبَع الآن القسم الثاني ويشتمل على علوم عديدة ويؤمل انجازه قريباً ان شاء الله.

وتتألف اللجان العلمية من اعضاء المجمع وخبراء، ويكون في كل لجنة عضو مختصّ باللغة العربية من اعضاء المجمع العاملين او من

الخبراء، وبعد إعداد القوائم تُطْبَع بمطبعة المجمع بعدد محدود (خمسين نسخة) لتوزيعها على الاعضاء، وبعد مناقشتها وإجراء التعديلات التي يُقَرَّر ادخالها، تطبع بصفتها النهائية:

وتعمل كذلك بعض الدوائر على إعداد المصطلحات التي تحتاجها.

***

الخلاصة

تتميز اللغة العربية بكثرة مفرداتها ومرونتها الكبيرة وقدرتها على استيعاب التطوّر الحضاري في مختلف الازمنة، ولقد استوعبت في القرن الحاضر المدنيّة الجديدة بكل يسر، وهي تواجه الآن التطوُّر السريع في العلوم والتقنيات، وهي قادرة على استيعاب ذلك.

ولا يوجد ادنى شك في قدرة اللغة العربية على ان تكون لغة العلم والبحث العلمي والدراسة والتدريس في العصر الحاضر، الذي اصبح التطور فيه في عقدٍ واحدٍ أسرع مما كان في قرون. إنّ عدم تكامل اللغة العربية العلمية في الوقت الحاضر ليس منشؤه اللغة نفسها، بل هو إحجام العاملين في هذه الامور عن الاستجابة لتطوّر الحياة، وانّ من اهم أُسُس هذه الاستجابة هو وضع اللغة المتطوِّرة بتماسٍّ دائم مع سائر فروع المعرفة فتكون الاداة المعبِّرة عنها.

ان مسألة قدرة اللغة العربية على استيعاب المعرفة الجديدة تختلف عن مسألة توفر هذه المعرفة لدى اصحاب هذه اللغة. فتوفُّر المعرفة والعلم

والتقنيات لدى العـرب يعتمـد بالدرجة الاولى على جهدهم الواسع لفهم وهضم المعرفة، ثم إجراء البحوث الرصينة والمساهمة بصفة جادة فعّالة في تقدم الانسانيّة. ولا بد من القول في الختام انها ليست مسألة مصطلحات او تعريب فحسب انها مسألة حضارة شعب ومستقبل أمة.

والسلام عليكم.

أيـار ١٩٨٤

الدكتور محمود الجليلي

المحاضرة الثانية :

محاولات تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً

للأستاذ الدكتور شوقي ضيف
(مصر)

السبت ١١ شعبان ١٤٠٤هـ - ١٢ أيار ١٩٨٤م

كان أوّل كتاب جامع يؤلَّف في النحو كتاب سيبويه، وهو من صنعه وصنع أستاذه الخليل بن احمد إذ دائماً ينقل عنه آراءه النحوية ويبسطها من جميع جوانبها، وقد ذكره باسمه مئات المرات، وقد يكتفي بقوله: «وقال». ولو أن باحثا جمع أقوال الخليل في الكتاب لاستغرقت الشطر الأكبر منه، حتى ليمكن ان يقال ان الخليل هو الواضع الحقيقي للنحو وان سيبويه مهذبه ومكمله، فهو الذي اعطاه صيغته النهائية، وهي صيغة تمتد الى نحو ألف صفحة من القطع الكبير، ولم يكد يترك قاعدة نحوية ولا صيغة عربية إلا دوَّنها في الكتاب، مما جعل صاعد بن أحمد يقول: «لا أعرف كتابا أُلِّف في علم من العلوم قديمها وحديثها اشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب، أحدها المجسطى لبطليموس في علم هيئة الأفلاك، والثاني كتاب أرسطاطاليس في علم المنطق، والثالث كتاب سيبويه البصري النحوي، فإن كل واحد من هذه [الكتب] لم يشذ عنه من أصول فنه شيء إلا ما لا خطر له». وتتدافع في الكتاب سيول من التعليلات والأقيسة، ويكثر الغموض في بعض جوانبه، مما هيأ لكثيرين في العالم العربي شرقاً وغرباً شرح الكتاب.

وضع المختصرات والمتون:

أخذت تؤلف في النحو بعد سيبويه كتب مطولة، وكان طبيعياً أن تظهر الحاجة الى وضع مختصرات وملخصات لكتاب سيبويه وغيره من كتب النحو المطولة، حتى تستطيع الناشئة أن تستوعب قواعده وتتمثلها في يسر. وكان من أوائل من اهتموا بذلك الأخفش سعيد بن مسعدة حامل كتاب سيبويه عنه وناشره في الناس، المتوفى سنة ٢١١ للهجرة. يدل على ذلك عنوان

كتابه : «الأوسط في النحو» وصنع صنيعه ابو محمد اليزيدي وتلميذه ابو عمر والجرمي المتوفى سنة ٢٢٥ للهجرة، فلكل منهما مختصر في النحو. ويتتابع صنع المختصرات للنحو في المدرسة البصرية وبالمثل في المدرسة الكوفية منذ امامها الكسائي المتوفى سنة ١٨٩ للهجرة فله مختصر في النحو. وعلى هذه الشاكلة اخذت مختصرات النحو تظهر مبكرة منذ القرن الثاني للهجرة بغرض تبسيط النحو وتقريبه من اذهان الناشئة، ويبدو أن كثيرين من معلميهم ظلوا لا يكتفون بالمختصرات في النحو يعرضونها عليهم، مما جعل الجاحظ في القرن الثالث الهجري ينصح معلم الصبي الناشىء بقوله :

«أما النحو فلا تشغل قلب الصبي منه إلا بقدر ما يؤديه الى السلامة من فاحش اللحن ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه وشعر إن أنشده وشيء إن وصفه، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به ومذهل عما هو أرد عليه من رواية المثل والشاهد والخبر الصادق والتعبير البارع، وإنما يرغب في بلوغ غاية (النحو) ومجاوزة الاقتصاد فيه من لا يحتاج الى تعرف جسيمات الأمور والاستنباط لغوامض التدبير لمصالح العباد والبلاد. . ومن ليس له حظ غيره ولا معاش سواه، وعويص النحو لا يجدي في المعاملات ولا يَضْطر إليه شيء» .

فالصبي الناشىء ـ في رأي الجاحظ ـ ليس في حاجة الى الوقوف على دقائق النحو العويصة التي يستعصي عليه فهمها، إذ لا تعود عليه بطائل، وحسبه أن يعرف من النحو قواعده الأساسية التي ترسم في ذهنه صور الصياغة العربية، عاصمة لسانه من اللحن والخطأ، أما ما وراء ذلك فليترك للمتخصصين الذين يعيشون للنحو، منفقين في حل مشاكله أيامهم ولياليهم باذلين له كل ما يستطيعون من وقت وجهد حتى يذللوا صعابه تذليلا .

ومضى أعلام النحاة يؤلفون في النحو كتبا مطولة للمتخصصين على مدار الأيام والسنين، وألفوا بجانبها مختصرات ومتونا موجزة للناشئة في كل بلد عربي، مستخلصين فيها قواعد النحو استخلاصاً محكما. ويلقانا منهم في أواخر القرن الثالث الهجري ثعلب وابن كيسان ولكل منهما مختصر في النحو، وبالمثل لنفطويه المتوفى سنة ٣٢٣ للهجرة ولمعاصريه الخزاز وابن شقير، وبعدهم بقليل ألف الزجاجي المتوفى سنة ٣٣٧ مختصرا في النحو سماه الجمل،طارت شهرته في الآفاق وخاصة في الشام والحجاز واليمن ومصر والمغرب، ولمعاصره المصري أبو جعفر النحاس مختصر في النحو سماه كتاب التفاحة ليحث الناشئة على التهامه، ولا يتجاوز ست عشرة صحيفة، ولابن درستويه معاصره مختصر سماه الهداية في النحو، ولابن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠ مختصر سماه باسم مختصر الزجاجي الجمل، ولمعاصره ابن جنى مختصر باسم اللمع في النحو، ولمعاصرهما علي بن عيسى الرماني مختصر باسم الإيجاز في النحو، ولابن بابشاذ المصري المتوفى سنة ٤٦٩ مختصر حسن باسم المقدمة في النحو، ولعبد القاهر الجرجاني معاصره مختصر سماه الجمل باسم مختصر الزجاجي، وللتبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ مقدمة اختصرت النحو اختصارا حسنا، وبالمثل لابن بري المصري المتوفى سنة ٥٨٢ مقدمة حسنة نقلها عنه عيسى الجزولي وأشاعها في المغرب والأندلس، وللمطرِّزي المتوفى سنة ٦١٠ مقدمة في النحو كانت مشهورة، ولعبد اللطيف البغدادي المتوفى سنة ٦٢٨ قَبْسة العجلان في النحو، وللشلوبيني الأندلسي المتوفى سنة ٦٤٥ مختصر في النحو سماه التوطئة، ولمعاصره ابن الحاجب المصري في النحو مقدمة وجيزة، ولعل مختصرا في النحو لم ينل من الذيوع والشهرة ما نالته «المقدمة الآجرومية في مبادىء علم العربية» لابن آجروم الفاسي المغربي المتوفى سنة ٧٢٣ وقد ترجمها المستشرقون الى اللاتينية وغير لغة من لغاتهم

الأوروبية وطبعت مرارا بروما وليدن وباريس وبرلين، وهي لا تتجاوز نحو عشرين صحيفة من القطع المتوسط. ولأبي حيان الأندلسي مختصر موجز في النحو سماه: «اللمحة البدرية في علم العربية» وكان يعاصره ابن هشام المصري المتوفى سنة ٧٦١ وله موسوعة نحوية مشهورة في مجلدين سماها: «مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب» وألف بجانبها للمتخصصين أيضا كتابه: «أوضح المسالك» وهو أشبه بشرح لمتن الألفية المعروف لابن مالك الأندلسي. وبجانب ذلك ألّف للناشئة ثلاث مختصرات متدرجة: مختصرا موجزاً شديد الايجاز هو: «الإعراب عن قواعد الإعراب» ومختصرا متوسط الإيجاز، هو «النَّدى وبلّ الصَّدى» ومختصر أوسع منه قليلا هو: «شذور الذهب» فمن أراد الوقوف على قواعد النحو الأساسية اكتفى بالمختصر الأول، ومن رأى التوسع قليلا درس، المختصر الثاني، فإن أنس في نفسه الرغبة في التوسع اكثر من ذلك درس المختصر الثالث. وكان الأزهر إلى عهد قريب يدرس لطلابه متن الأجرومية في السنة الأولى، وفي السنة الثانية يختار لهم متنا أوسع قليلاً هو متن الأزهرية للشيخ خالد الأزهري المتوفى سنة ٩٠٥ للهجرة، وفي السنة الثالثة يدرس لهم متن قطرالندى لابن هشام، وهو أوسع منهما جميعاً، ويدرس في السنة الرابعة لهم متن الألفية، وبذلك كانت تختم دراسة النحو في الأزهر الشريف.

وتلك هي الطريقة التي اتبعها الأسلاف في تيسير النحو على الناشئة وتعليمه لها بعرض معالمه وقواعده الأساسية في متون ومختصرات موجزة، ومن شاء ان يتوسع فيه فعليه بالمطولات وبالشروح الكبرى التي وضعت على ألفية ابن مالك فسيجد القواعد مبسوطة اوسع بسط وسيجد كثرة من التفاصيل في كل باب. غير ان ذلك إنما يفيد المتخصصين الذين يطلبون الوقوف على مشاكل النحو العويصة، والذين يجدون لذة ومتاعا في دراستها

وقضاء بياض أيامهم وسواد لياليهم في بحثها غير حافلين بما تكلفهم من مشقة وعناء، بل انهم ليشعرون في ذلك بغبطة لا تماثلها غبطة، ولهؤلاء أُلِّفت مطولات النحو وموسوعاته، أما الناشئة فحسبهم من النحو ما يرسم لهم قواعده في ايجاز حتى يستطيعوا قراءة النثر والشعر قراءة سديدة، ولتلك الغاية اخذت المختصرات والمتون توضع في النحو منذ القرن الثاني الهجري الى العصر الحديث، كي تتيح للناشئة استيعاب قواعد العربية وأوضاع صياغاتها ومقوماتها وتتمثلها تمثُّلاً سليما دقيقا.

ثورة ابن مضاء على النحو:

مضت مطولات النحو تكتظ بسيول من نظرية العوامل والمعمولات وما يطوى فيها من كثرة التقديرات والتعليلات والقياسات والتمرينات الافتراضية، ولا نمضي طويلا مع دولة الموحدين في الاندلس والمغرب ـ وكانت ظاهرية المذهب ـ حتى نجد قاضي قضاتها ابن مضاء القرطبي المتوفى سنة ٥٩٢ للهجرة يثور على النحو ثورة عنيفة مستضيئاً فيها بالمذهب الظاهري في الفقه وما دعا اليه من التمسك بنصوص الكتاب والسنّة دون تأويل فيهما ومن إلغاء العلل والأقيسة في الشريعة، ويؤلف في ذلك كتابه «الرد على النحاة» وفيه يدعو الى إلغاء نظرية العوامل والمعمولات في النحو، حتى يتخلص من كل ما دخل عليه من تأويل في النصوص ومن علل وأقيسة وتمارين افتراضية. وفي السطور الأولى من كتابه يقول: «قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه وأنبِّه على ما أجمعوا على الخطأ فيه». وبدأ بنظرية العوامل والمعمولات يبين فسادها، اذ تضيف الى الكلام ما ليس منه في مثل «من جاء؟» فيقال «زيد» إذ يقدرون أن أصل الجواب: جاء زيد، وفي مثل «الكتاب قرأته» يقدرون أن أصل العبارة: «قرأت الكتاب قرأته» وفي مثل: «يا عبد الله» يقدرون أن أصل

العبارة «لا أدعو عبد الله». يقول ابن مضاء: وتقدير ذلك ومثله في العبارات يجرّ الى زيادة ألفاظ على القرآن ليست منه دون حجة او دليل. وينفذ من ذلك الى إلغاء ما تصوره النحاة من متعلق للجار والمجرور في مثل: «القلم على المكتب» ومثله متعلق الظرف إذا وقعا خبرا او صلة أو حالا او نعتا. ويتحول ابن مضاء الى نقض فكرة المعمولات المحذوفة ويختار الضمير المستتر في مثل: «زيد قام» وينكر أن في الفعل ضميرا مستترا كما يقول النحاة وهم يعربونه فاعلا، ويرى ابن مضاء ان الفعل في المثال لا فاعل له وأنه يدل على الضمير بمادته كدلالة لفظة قائم عليه تماما. ومثل ذلك الأفعال المضارعة: «أقوم ـ تقوم ـ نقوم» ويقول ان ما يسميه النحاة ضمائر تثنية وجمع في مثل: «قاما ـ قمنا ـ قاموا ـ قمن» ليس ضمائر ولا فواعل كما زعموا وإنما هي علامات تدل على التثنية والجمع بالضبط كدلالة التاء الساكنة على التأنيث في مثل: «قامت» ويستدل على ذلك بلغة: «أكلوني البراغيث» وأنها تذكر فيها مع الفاعل المثنى والمجموع كما تذكر تاء التأنيث مع الفاعل المؤنث.

ويقيم ابن مضاء الدليل القاطع على فساد نظرية العوامل والمعمولات بعرض ثلاثة أبواب هي باب التنازع والاشتغال ونصب المضارع بعد فاء السببية وواو المعية، أما التنازع فإن العرب تسلط عاملين على معمول واحد، فتقول: «جاؤا وجلس إخوتك» ويرفض البصريون والكوفيون هذا الاسلوب بحجة انه لا يصح أن يتسلّط عاملان على معمول واحد، ويرى البصريون ان يقال: «جاؤا وجلس إخوتك» ويرى الكوفيون أن يقال: «جاء وجلسوا إخوتك». وطبق النحاة ذلك على بابي ظن وأعلم مسيغين أن يقال: «ظننت وظناني شاخصا الزيدين شاخصين، وأن يقال: «أعلمت وأعلمانيهما إياهما الزيدين العمرين منطلقين». وكل هذه الصيغ لم تسمع عن العرب

وينبغي أن تحـذف من كتب النحو هي والباب الذي عقد من أجلها باب التنازع. اما باب الاشتغال فقد وزع النحاة الصيغ فيه على ما يجب رفعه وما يجب نصبه وما يترجح فيه الرفع او النصب وما يجوز فيه الامران على حد سواء مقدرين في الصيغ عوامل محذوفة لا ضرورة لها ولا لكل ما رسموا من هذه التوزيعات، اذ يكفي ان نعرف ان الاسم المتقدم اذا عاد عليه ضمير منصوب او متصل بمنصوب نُصب كما في مثل: «الكتاب قرأته ـ الكتاب قرأت صفحاته». واذا عاد عليه ضمير مرفوع او متصل بمرفوع رفع في مثل: «الحديقة ازدهرتْ ـ الحديقة ازدهرت أشجارها». وإذن لا داعي لفتح هذا البـاب في كتب النحو فضلا عما جلب اليه النحاة من صيغ لم ينطق بها العرب ولا دارت في ألسنتهم مثل «أزيد الم يضربه إلا هو ـ أخواك ظناهما منطلقين ـ أأنت عبد الله ضربته» وينبغي لذلك ان ينحىَّ الباب عن النحو. ويعرض ابن مضاء نصب المضارع بعد فاء السببية وواو المعية وما يزعمه النحاة من انه منصوب بأن مضمرة وجوبا، ويقول ان المضارع لا ينصب بعدهما لانه معمول لان مضمرة وجوبا، وانما لادائه معنى يريده المتكلم، فإنـه اذا نصب المضـارع بعد فاء السببية في مثل: «لا يَشْتُم عمرو زيدا فيؤذيه» كان يريد ان يقول ان شتم عمرو لزيد يتسبَّب عنه إيذاؤه، والشتم بذلك نوع من الايذاء، ولو رفع المضارع كان يريد ان يقول «فهو يؤذيه» اي عادته ايذاؤه ولو جزم المضارع كان يريد ان ينهي عمرا عن شتم زيد وايذائه معا. وبالمثل: «لا تأكل السمك وتشرب اللبن» اذا نصب المتكلم المضارع الثاني كان المعنى لا تجمع بين أكل السمك وشرب اللبن،وان رفعه كان قد نهى المخـاطب عن أكل السمك واوجب له شرب اللبن،وان جزم انصبّ النهى على الفعلين معا. واذن فحركات الاعراب لا يراد بها الدلالة على عوامل محذوفة، كما يزعم النحاة، وانما يراد بها دائما الدلالة على معان في نفس المتكلم.

ومضى ابن مضـاء يدعو ـ مستضيئاً بالمذهب الظاهري ـ الى إلغاء العلل من النحو كما ألغاها الظاهرية في الفقه ملاحظا ان في النحو عللا أولى وثانية وثالثة، ويرتضى ابقاء العلل الأولى لانها تفيد في بيان الحكم النحوي مثل إن كل فاعل مرفوع، وهي علة توضح ان حكم الفاعل الرفع، والنحـاة لا يكتفون بها اذ يحاولون التعليل لرفع الفاعل، فيقولون انه رفع للفرق بينه وبين المفعول، وهي علة ثانية، ولا يكتفون بذلك بل يتساءلون لماذا رفع الفاعل ولم ينصب؟ ويجيبون لأنه قليل فرفع ونُصبت المفعولات لانها كثيرة، وواضح ان العلتين الثانية والثالثة لا فائدة منهما سوى التخيل والفـروق البعيدة دون اي تصحيح للنطق. ومثلها الأقيسة اذ يقيسون مثلا اعراب المضارع على إعراب الاسم لشبهه به دون اخويه الماضي والامر، ويذكرون لذلك علتين، وكل ذلك لا نفع فيه ولا طائل وراءه سوى ضروب من التمحل لا تدعو اليها اي حاجة. وعلى شاكلة الأقيسة والعلل التمارين غير العملية التي يفترضها النحاة افتراضا دون ان تفيد اي فائدة في النطق بالعـربية كقولهم: «ابْنِ من البيع على مثال فُعْل» فيقال: «بُوع» أو «بيع» ويورد كل قائل حججه. وحرى أن تحذف من النحو، لأن العرب لم ينطقوا بها ولأنها لا تصحح نطقاً ولا تسدِّده.

وصمَّ النحـاة آذانهم عن دعـوة ابن مضـاء وظلوا يؤلفـون مطولاتهم النحوية للمتخصصين ومختصراتهم ومتونهم للناشئة، حتى إذا كان العصر الحديث شعر القائمون على تعليم العربية بالحاجة الى تبسيط كتاب النحو المـدرسي وأحسَّ بذلـك رفاعة الطهطاوي أبو الفكر المصري الحديث، فألف كتابا مختصرا ينحو به الى التيسير. وأُنشئت دار العلوم، ولم يلبث أحد خرِّيجيها النابهين وهو حفني ناصف أن ألف مع بعض رفاقه كتابا للناشئة يجمع قواعد النحو والبلاغة سماه «قواعد اللغة العربية» وقد صيغ صياغة

سديدة، وتجـدَّد الشعور بأن كتاب النحو التعليمي لا يزال في حاجة الى تيسير اكثر وأكمل، وانبرى للمهمة على الجارم ومصطفى أمين، فأخضعا النحو للأساليب التربوية الحديثة، وبذلا في ذلك جهد جديرا بكل شكر وثناء.

كتاب احياء النحو :

وفي يناير سنة ١٩٣٧ نشر الأستاذ الجليل ابراهيم مصطفى كتابه: «إحياء النحو» وهو يلتقي فيه بدعوة ابن مضاء الى الغاء نظرية العامل في النحو، وحاول بعد إلغائها أن يصنع له بناء جديدا أقامه على حذف الفتحة من أبواب الإعراب والإبقاء على الضمة والكسرة، أما الضمة فجعلها علم الإسناد وجمع تحت لوائها المبتدأ والفاعل ونائبه، واعترضه المنادى المضموم في مثل: «يا زيدُ» فقال إن الضمة فيه ليست علامة إسناد، وإنما لزمته لحرمانه من التنوين فرارا من شبهة اضافته الى ضمير المتكلم، واعترضه ايضا اسم إن لانه مسند اليه مع نصبه وحقه الرفع، فقال انه يعطف عليه بالرفع. والاعتراضان لا يزالان واردين اما المنادى فلأن تعليله فيه مجرد فرض، وأما العطف على اسم ان بالرفع فلا يُجيز فيه الرفعَ إذ يأتي الضمير بعدها دائماً ضمير نصب في مثل: «إنه ـ انهم» وأما الآية الكريمة: (إن هذان الساحران) فإن فيها حرف جواب بمعنى نعم. ويطرد النصب لاسم ان في آلاف الأمثلة من القرآن الكريم والشعر، ولم يقل أحد من النحاة انه يرفع في بعض لغات العرب. واعترضته ايضا «لولا» وأن الاسم الظاهر بعدها يكون دائماً مرفوعاً على الابتداء وانه حين يخلفه ضمير يكون دائماً متصلا غير مرفوع، فيقال: «لولاك ـ لولاه» ويقول إن العرب عاملتها مع الضمير معاملة الأداة. ويجعل الكسرة علم الإضافة وتضم بابين: باب الاضافة المعهودة في مثل: «كتاب زيد» وباب حروف الجر او كما يسميها حروف

الاضافة. وما عدا المكسور والمضموم في الكلام لا يعرب، اذ يكون دائماً منصوبا، ولا حاجة الى فتح ابواب له، فلم يعد هناك مفعول به ولا مفعول مطلق ولا مفعول فيه ولا مفعول لأجله ولا مفعول معه ولا استثناء ولا حال ولا تمييز. وواضح ان هذا الإلغاء يُضَيِّع على الناشئة معرفة وظائف هذه الأبواب وصيغها في الكلام، مما قد يحدث بلبلة في اذهانهم.

ويعقد فصلا للعلامات الفرعيةفي إعراب الأسماءالخمسةوجمع المذكر السالم، ويذهب أن الواو والألف والياء في الأسماء الخمسة ليست علامات فرعية للإعراب إنما هي مدٌّ واشباع للضمة في حالة الرفع وللألف في حالة النصب وللياء في حالة الجر، والإعراب إنما هو بتلك الحركات الممدودة، وبالمثل جمع المذكر السالم، فالواو في حالة الرفع إشباع للضمة السابقة والياء اشباع للكسرة السابقة لها في حالتي النصب والجر، ولم يعلل لماذا نُصب جمع المذكر السالم بالياء، ويقول ان المثنى يخرج بعلاماته الفرعية عما ارتأى من تعليل في جمع المذكر السالم والأسماء الخمسة وافترض فيه الشذوذ ولم يعرض لنيابة الكسرة عن الفتحة في جمع المؤنث السالم، ولعله افترض فيه الشذوذ ايضا. ويعلل لرأي النحاة في ان الفتحة تنوب عن الكسرة في باب الممنوع من الصرف، لانه حرم التنوين فخيف عليه اذا جُرَّ بالكسرة ان يشبه المضاف الى ياء المتكلم. ويعقد فصلا للتوابع ويُخْرج منها العطف، إذ لا يماثلها في أنه يكمل ما قبله، ومعروف ان المعطوف يأخذ حكم المعطوف عليه في الاعراب، وهو من هذه الجهة تابع لما قبله واضح التبعية. وقد ادخل مكانه في التوابع الخبر اذ جعله تابعا للمبتدأ. ويَرِدُ عليه أن خبر إن واخواتها مرفوع بينما اسمها منصوب، فلا يصح أن يكون تابعا له، مع ملاحظة أنه لا يعرب المنصوب مثل اسم إن. وألمَّ بلا النافية للجنس وقال إن استعزافها للنفي اتاح لاسمها اضربا من التعريف حُرم بسببه من التنوين. وتحدث عن باب الاشتغال وقال ان الاسم

السابق للفعل اذا كان متحدّثا عنه رُفع واذا كان الفعل هو المتحدّث عنه نُصب، ومرت بنا القاعدة التي وضعها ابن مضاء للباب، وهي اكثر وضوحاً، ويبحث صيغ المفعول معه، ويقول انه يتعين فيه النصب اذا قُصدت المعية نصا. وينهي الكتاب بفصل واسع عن الممنوع من الصرف ويقول إن الاعلام مُنعت فيه من التنوين لخلوها من معاني التنكير، وهو مجرد افتراض لان سواها من الاعلام ـ وهي الكثرة في العربية ـ منونة. ويعلل لمنع الصرف في «أخر وثلاثَ ورباع» لما تحمل من نية التعريف، اما غضبان فمنعت من الصرف لزيادة الالف والنون فيها اذ التنوين نون اخرى، ومُنعت اصغر واكبر من التنوين لمصاحبتهما من، وكأنها أَشْرَبتهما نوعا من التعريف، وبالمثل مُنعت من الصرف صيغة منتهى الجموع لما فيها من معنى التعريف، وواضح ما حاوله الاستاذ الجليل ابراهيم مصطفى من تيسير النحو للناشئة ورده الى بابين: باب للضمة وانها علم الاسناد وباب للكسرة وانها علم الاضافة. وقد تأثرت بعض اللجان والمجامع بهذه الفكرة أو بجوانب منها، كما تأثرت بموقفه من العلامات الفرعية في الاعراب، وقد اضاف تعليلات وافتراضات كثيرة، ولعلي لا اغلو اذا قلت انها تخرج عن الوظيفة الاساسية في النحو، وهي دراسة الظواهر النحوية الطبيعية للصيغ العربية واستخلاص القواعد منها دون الخوض في علل قلما تنفع في تصحيح نطق او تفيد في تقويم لسان.

مقترحات لجنة وزارة التربية والتعليم:

تألفت في سنة ١٩٣٨ لجنة في وزارة المعارف (التربية والتعليم الآن) لتبسيط قواعد النحو والصرف وتيسيرهما على الناشئة، وقد شُكّلت من كبار الأساتذة في الأدب والنحو بآداب جامعة القاهرة ودار العلوم وبعض القائمين على تعليم العربية في الوزارة. وتوالت اجتماعاتها وقدمت تقريرا بمقترحاتها، أُجْمله فيما يلي:

١ ـ الاستغناء عن الإعراب التقديري في الأسماء المعربة مثل: «الفتى ـ الداعي ـ كتابي» وعن الإعراب المحلي في الأسماء المبنية مثل: «هذا ـ هؤلاء ـ الذي ـ الذين».

٢ ـ الاستغناء عن علامات الإعراب الفرعية، وهي نوعان: نوع تنوب فيه الحركة عن حركة، وهو ما يقال في الممنوع من الصرف في حالة الجر ان الفتحة نائبة عن الكسرة وما يقال في جمع المؤنث السالم حين يكون مفعولا به ان الكسرة فيه نائبة عن الفتحة انما يقال في مثل «كتاب ابراهيم» ان ابراهيم مجرورة بالفتحة فقط كما يقال في مثل: «رأيت المتفوقات» إن المتفوقات مفعول به مجرور بالكسرة فقط. والنوع الثاني من العلامات الفرعية تنوب فيه حروف العلة عن الحركات، وذلك في المثنى والجمع، فلا يقال في المثنى انه مرفوع بالألف نيابة عن الضمة، بل يكتفي بأنه مرفوع بالألف، وبالمثل جمع المذكر السالم، لا يقال فيه إنه مرفوع بالواو نيابة عن الضمّة، بل يكتفي بأنه مرفوع بالواو، وفي حالتي النصب والجر للمثنى والجمع لا يقال ان المثنى منصوب او مجرور بالياء نيابة عن الفتحة او الكسرة، بل يكتفى بأنه منصوب او مجرور بالياء وكذلك الجمع. واستبقت اللجنة في الأسماء الخمسة رأى الأستاذ ابراهيم مصطفى المار، وهو أنها ترفع بضمة ممدودة وتنصب بفتحة ممدودة وتجر بكسرة ممدودة، وكان حرياً باللجنة ان تجعل علامات الاعراب في تلك الأسماء كعلامات جمع المذكر السالم، فيقال انها مرفوعة بالواو ومنصوبة بالالف ومجرورة بالياء.

٣ ـ الاستغناء عن ألقاب الإعراب وهي الرفع والنصب والجر والجزم والاكتفاء بألقاب البناء في الأسماء المعربة وكذلك المضارع المعرب، وهي الضم والفتح والكسر والسكون.

٤ ـ تُلْغَى فكرة العوامل والمعمولات، ويُبْنَى النحو ـ كما مر بنا عند الأستاذ ابراهيم مصطفى ـ على ثلاثة ابواب سماها باب الضمة وباب الكسرة وباب التكملة، وسمّتها اللجنة باب الموضوع ويشتمل على المبتدأ واسم كان والفاعل ونائبه كلها مضمومة، كذلك على اسم إن المنصوب، وباب المحمول ويكون اسما فيضم او فعلا أو ظرفا منصوبا او جارّاً او مجروراً. وحين يكون المحمول ظرفاً لا يقدر له متعلق وكذلك حين يكون جارا ومجرورا، وهي فكرة تتأثر برأي ابن مضاء السالف. والباب الثالث باب التكملة ويشمل جميع المفعولات، وهو نفس رأي الاستاذ ابراهيم مصطفى. والعيب في هذا التبويب انه شديد الاجمال، وهو اجمال مخل، إذ يضيِّع على الناشئة معرفة وظائف الكلمات في الجمل واوضاعها المختلفة في الاستمال سواء مع الموضوع والمحمول والتكملة.

٥ ـ إلغاء الضمير المستتر جوازا وكذلك وجوبا في مثل: «قام ـ أقوم ـ نقوم ـ تقوم للمخاطب». واللجنة تلتقي في هذا الرأي برأي ابن مضاء السالف القائل بأن الفعل يدل على هذا الضمير بمادته مثل «قائم»، واخذت ايضاً برأيه القائل بإلغاء فكرة ضمائر الرفع المتصلة البارزة الدالة على العدد مثل: «قاما ـ قامتا ـ قاموا ـ قمن ـ يقومان ـ تقومان ـ يقومون ـ يقمن» فكلها علامات إشارة للتنبيه والجمع او دالة عليهما كما قال ابن مضاء، وزادت اللجنة عليه ضمائر الرفع المتصلة البارزة التي لا تدل على تصور في مثل: «قمتُ ـ قمتَ ـ قمتِ». وفي رأيي ان هذه الفكرة تحدث اضطرابا في تصور الناشئة لباب الفعل والفاعل، اذ تكون هناك افعال لها فواعل وافعال لا فواعل لها، ومن اجل ذلك ارى ان يظل النحو التعليمي معتدا بفكرة الضمائر المستترة والمتصلة البارزة اخذا بقانون الاطراد في وضع القواعد حتى لا تحدث فيها بلبلة.

٦ ـ صيغ تدرس على انها اساليب ثابتة تتعلم الناشئة طرق استعمالها لا تحليلها وفلسفة تخريجها، ومثلت اللجنة لها بأبواب التعجب والتحذير والاغراء، ومعروف ان للتعجب صيغتين هما: «ما أجمل السماء» اي ما الذي جملها واعرابها واضح لانها مكونة من مبتدأ هو ما وخبر هو الفعل التالي وفاعله المضمر ومفعوله. والصيغة الثانية هي: «أجملْ بالسماء» وللبصريّين فيها تخريج بعيد، ويعربها الكوفيون مكونة من فعل امر وجار ومجرور أي اعتدّ بجمال السماء، وإعراب الصيغتين واضح وليس فيه فلسفة تخريج ولا صعوبة، ومثلهما صيغتا التحذير والإغراء في مثل: «النارَ» و«الصبرَ» فإن النحاة يعربونهما مفعولين لفعلين محذوفين اي «احذر النار» و«الزم الصبر». وواضح انه ليس في إعراب هذه الصيغ اي صعوبة، وقد أضيف اليها أبواب الاستفهام بالنفي والتوكيد والقسم والتفضيل ونعم وبئس والنداء والاستثناء والاختصاص وجميعها إعرابها النحوي سهل يسير، وكذلك تخريجها ما عدا نعم وبئس وبعض صور النداء ونقصد بابَي الاستغاثة والندبة وكذلك الاختصاص، وستوضع لها حلول نعرض لها عما قليل.

٧ ـ حذف الابدال والإعلال والموازين التي تتنقل الكلمات فيها، تخفيفاً على الناشئة اذ لا تدعو اليها في تعليمهم النحو ضرورة ملزمة.

قرارات مؤتمر مجمع اللغة العربية لسنة ١٩٤٥:

أرسلت وزارة المعارف حينئذ المقترحات السالفة للجنة الى المجمع كي يدرسها ويبدي الرأي فيها، فأحالها الى لجنة الأصول لدراستها، وفي مؤتمره سنة ١٩٤٥ خصَّها بثماني جلسات انتهت بإقرارها مع إدخال بعض تعديلات عليها، وقد صاغها في القرارات التالية:

١ ـ وجوب الاستغناء عن الإعرابين: التقديري في الأسماء المقصورة والمنقوصة والمضافة الى ياء المتكلم، والمحلى في الأسماء المبنية. وذلك كما جاء في اقتراحات اللجنة، غير ان المجمع استبقى النص على لفظ المحل فيقال في اعراب مَن في مثل: «جاء من أكرمني» من اسم موصول مبنى مسند إليه محله الرفع وفي مثل: «جاء الفتى والقاضي» اسمان مسند إليهما محلهما الرفع.

٢ ـ وجوب إلغاء ما يسمى بالعلامات الفرعية في الإعراب، فليس هناك حركة تنوب عن أختها في الممنوع من الصرف وجمع المؤنث السالم، وليس هناك حرف ينوب عن حركة في المثنى وجمع المذكر السالم. والمجمع في ذلك يتفق مع اللجنة، غير أنه خالفها فيما ارتأته في إعراب الأسماء الخمسة بأنها تعرب بحركات ممدودة متأثرة في ذلك برأي الأستاذ إبراهيم مصطفى، إذ رأى إعرابها بالواو والألف والياء في مثل: «أبوك ـ أباك ـ أبيك» وهي مخالفة سديدة.

٣ ـ الاستغناء عن ألقاب البناء والاكتفاء بألقاب الإعراب، وهي الرفع والنصب والجر والجزم ومر بنا أن اللجنة كانت اقترحت العكس، وهو الاكتفاء بألقاب البناء والاستغناء عن ألقاب الإعراب، وإنما دعا المجمع واللجنة الى ذلك التخفيف على الناشئة.

٤ ـ يعدل في تسمية ركني الجملة عن الموضوع والمحمول اللذين اقترحتهما اللجنة الى المسند اليه والمسند كما يصطلح علماء البيان. ويَرِدُ على هذه التسمية ما أوردناه على الموضوع والمحمول إذ يضمان ابوابا متنوعة تختلف في احكامها وهي ابواب المبتدأ والخبر واسم كان وخبرها واسم إن وخبرها الفاعل ونائبه والفعل. وتوقف المجمع ازاء الخبر حين يكون ظرفا او جارا ومجرورا، وكانت اللجنة رأت أنهما الخبر والاكتفاء بذلك دون أن يذكر انهما متعلقان بمحذوف هو الخبر

تقديره مستقر أو استقر، ورأى المجمع أن يقال للناشئة انهما متعلقان بمحذوف ولا يكلفون كل مرة تقديره، وكان ينبغي أن يأخذ المجمع برأي اللجنة، ومرَّ بنا أنها استضاءت فيه بابن مضاء.

٥ ـ ما عدا ركني الجملة والمضاف إليه والمجرور يسمى تكملة، ويشمل المفعولات والاستثناء والحال والتمييز. والمجمع يتفق في ذلك مع اللجنة، غير انه نصَّ على أن التوابع لا تسمى تكملة، لأنها تتبع في الإعراب ما قبلها مرفوعا ومنصوبا ومجرورا والتكملة دائماً منصوبة. واتفق مع اللجنة في أن يذكر مع كل تكملة غرضها إذ تجيء لبيان الزمان أو المكان ولبيان العلة ولتأكيد الفعل وبيان نوعه أو لبيان الحالة أو النوع. وخص المجمع التكملة بالمفعول به على أن ينص عليه. ولعل في نص المجمع واللجنة على ذكر الغرض من التكملة معها ما يدل على انه ينبغي الاحتفاظ بما وضعه الأسلاف لابوابها من مصطلحات فارقة بينها لتتبين الناشئة وظائفها واستعمالاتها تبينا دقيقا.

٦ ـ الأخذ برأي اللجنة السالف في إلغاء الضمير المستتر جوازا ووجوبا، وإلغاء فكرة ضمائر الرفع المتصلة البارزة الدالة على العدد وعدِّها علامات إشارة دالة على التثنية والجمع، وكذلك أختها التي لا تدل على العدد مثل «قمت».

٧ ـ الاتفاق مع اللجنة في إفراد مجموعة من الأساليب ـ وسماها المجمع التراكيب ـ بعرض طرق استعمالها على الناشئة وعدم التعرض لتحليلها وطرق تخريجها، وهي عشرة ابواب: التوكيد ـ القسم ـ التعجب ـ اسم التفضيل ـ نعم وبئس ـ النداء ـ الاستغاثة ـ الندبة ـ الاختصاص ـ التحذير ـ الاغراء.

٨ ـ الاتفاق مع اللجنة في حذف الإعلال والابدال وبيان تنقل الكلمة في موازين مختلفة تخفيفا وتيسيرا على الناشئة.

ورأى المجمع أن يعرض هذه القرارات على مجمعي دمشق والعراق، ولم يرتضيا خطوطها الأساسية، إذ طلبا العدول عن تسمية ركني الجملة باسم المسند إليه والمسند والإبقاء على المصطلحات القديمة: المبتدأ والخبر واسم كان وأخواتها وخبرها واسم إن وأخواتها وخبرها والفاعل ونائبه. وبالمثل رأيا العدول عن مصطلح التكملة والرجوع إلى المصطلحات القديمة من مفعول به ومفعول مطلق ومفعول فيه ومفعول لأجله ومفعول معه واستثناء وحال وتمييز. وبذلك رفضا قرارات المجمع المذكورة آنفا. وكان المجمع قد طلب الى وزارة المعارف (التربية والتعليم الآن) في مصر أن تؤلَّف كتب النحو للناشئة على أساس قراراته، وبعد نحو عشر سنوات أُلِّفت هذه الكتب وأخذت الناشئة تتعلم النحو على أسس التيسير السابقة. ولم تلبث الشكوى من هذا الميسر أن عمَّت في جميع المدارس، إذ لم تستطع الناشئة أن تتمثل بوضوح فكرة المسند إليه والمسند، وهما الركنان الأساسيان في هذا النحو، ومن المؤكد ان الناشئة تستطيع أن تتصور المبتدأ في وضوح حين يقال لها إنه الاسم المرفوع في اول الجملة، لأنه فعلا يبتدئها، وكذلك تستطيع ان تتصور الفاعل بوضوح حين يقال لها انه الاسم المرفوع بعد الفعل لأنه فعلا هو الفاعل للفعل، أما أن يقال للناشئة إن هذين الاسمين المرفوعين مسند اليهما فقد عزَّ عليها فهم ذلك وتصوره. وهذا نفسه يلاحظ في اصطلاح التكملة الجديد، لأنه يضم أبوابا شتى دون أن يوضح وظائف كلماتها في الجمل. وعُقد مؤتمر ـ أيام وحدة مصر مع سوريا ـ للنظر في نتائج تعليم هذا النحو الميسر اجتمع فيه كبار القائمين على تعليمه بالوزارة وبعض أساتذة الجامعات، وتدارس المؤتمر تلك النتائج، واتخذ قرارا بالانصراف عنه والرجوع الى صورة النحو قبل تيسيره.

أحـــدث محاولـــة :

وحاول بعد ذلك كثيرون أن يتيحوا للنحو التعليمي صورا من التيسير، وربمـا كان من أهمها محاولة تعد أحدثها وضعت على أسس ستة، أولها تنسيق النحو تنسيقا جديدا بحيث تلغى طائفة من ابوابه الفرعية مع رد أمثلتها إلى أبوابه الأصلية، وثانيها إلغاء الإعراب التقديري والمحلي، وثالثها أن لا يشغل الناشئة بإعراب كلمة لا يفيدها إعرابها لها أي فائدة في صحة النطق بها، ورابعها وضع تعريفات وضوابط دقيقة لبعض ابواب النحو التي يعسر على الناشئة فهما فهما سليما، وخامسها حذف زوائد كثيرة في الأبواب لا تمس إليها حاجة، وسادسها إضافات جديدة ضرورية لتمثل الصياغة العربية تمثلا دقيقا . .

ولكي تتضح هذه المحاولة نسوق ما يتضمنه كل أساس فيها من وجوه التيسير، فأما الأساس الأول وهو إعادة تنسيق أبواب النحو وتصنيفها تصنيفا جديدا، فيستضيء بمختصـرات النحو التي ظلت تؤلف من القرن الثاني الهجري الى العصر الحديث، وكانت تكتفي بأبواب النحو الأساسية وتهمل أبـوابـه الفرعية، والمحاولة مع أنها تستضيء بهذا الصنيع لا تهمل صيغ الأبواب الفرعية وأمثلتها اذ تردها الى أبوابها الأساسية وأول ما تقف عنده من ذلك باب المبتدأ والخبر، وتتفرع منه خمسة ابواب، هي باب كان واخواتها وباب ما ولا ولات العاملات عمل ليس، وباب كاد وأخواتها، وباب ظن وعلم وأخـواتهمـا، وبـاب أعلم وأخـواتهـا. وتـرى المحاولة حذف تلك الأبواب، أما باب كان وأخواتها فقد أراح الكوفيون الناشئة منه، إذ أعربوا كان وأخواتها مثل أمسى وأصبح وما زال أفعالا تامة لا ناقصة والمرفوعات بعدها فواعـل والمنصـوبـات احـوالا. وتأخذ كتب النحو التعليمي الآن بإعراب البصريين، وهو ان هذه الأفعال داخلة على جملة اصلها مبتدأ أو خبر، وهي

لذلك أفعال ناقصة ليس لها فواعل، والمرفوعات بعدها أسماء لها والمنصوبات أخبار وإعراب الكوفيين أدق من الوجهة العلمية إذ يتحاشى تقسيم الفعل الى فعل تام وفعل ناقص في باب كان وأخواتها كما يتحاشى أن يكون الخبر مرفوعا مع المبتدأ ومنصوبا مع كان وأخواتها، ولذلك ينبغي الأخذ بإعراب الكوفيين مع رد صيغ الباب الى باب الحال. ومثل هذا الباب في وجوب حذفه من كتب النحو التعليمي باب ما ولا ولات العاملات عمل ليس، أما ما فإنه يليها اسمان مرفوعان في مثل: «ما هذا حسن» ويجوز أن ينصب لفظ حسن، فيقال: «ما هذا حسنا» وحينئذ يعرب البصريون المرفوع اسما لها والمنصوب خبرا، بينما يعرب الكوفيون المرفوع مبتدأ والمنصوب خبراً بنزع الخافض لانه يكثر معها زيادة الباء في الخبر، فيقال: «ما هذا بحسن» وإعراب الكوفيين أولى لأنه يتحاشى فكرة الخبر المنصوب التي تُحْدث خللا في حكم الخبر وأنه يطرد فيه الرفع. وأما لا فلم يأت بعدها اسمان: مرفوع ومنصوب إلا في بيت واحد، ولذلك أنكر بعض أئمة النحاة عملها الرفع والنصب وقالوا إنما يليها دائماً مبتدأ وخبر مرفوع. ولات لم ترد إلا مع ظرف زمان تنفيه مثل قوله تعالى: (ولات حين مناص) فلا داعي لأن تتعلم الناشئة أن الظرف خبرها وأن اسمها محذوف والتقدير: ولات الحينُ حين مناص فذلك تكلف لا داعي له، ويكفي أن يقال لهم لات حرف نفي للظرف كما في الآية الكريمة. وبذلك كله يتضح وجوب حذف باب ما ولا ولات العلاملات عمل ليس. والباب الثالث باب كاد وأخواتها من أفعال المقاربة والرجاء والشروع مثل أوشك وعسى وجعل وكتب النحو التعليمي تذكر أنها داخلة على جملة أصلها مبتدأ وخبر مثل كان وأخواتها، ويعرب المرفوع بعدها في مثل «كاد محمد أن يقوم» اسما لها و«أن يقوم» خبرها، ولو حذفت كاد أصبحت الجملة «محمد أن يقوم» وهي بهذا الوضع لا تستقيم لأنه لا يخبر بالمصدر المؤول عن اسم ذات فلا يقال: «محمد

القيام». ولذلك أخذت هذه المحاولة الجديدة برأي سيبويه وهو أن كاد فعل تام لا ناقص والمرفوع بعدها فاعل لها والمضارع معه أن وبدون أن مفعول به لأفعال الرجاء والمقاربة ومثلهما افعال الشروع، ومعنى «كاد محمد أن يقوم ـ عسى محمد أن يقوم» قارب محمد القيام كما قال سيبويه وهو قول دقيق ونتحاشى به ما تحاشيناه في باب كان من أن يكون هناك فعلان: فعل تام وفعل ناقص لا فاعل له كما نتحاشى به الخطأ المنطقي حين يتعلم الناشئة أن كاد في «كاد محمد أن يقوم» داخلة على مبتدأ او خبر. ومع حذف هذا الباب ينقل الى باب المفعول به. ويقول النحاة إن المفعولين التاليين لظن وعلم وأخواتهما أصلهما مبتدأ وخبر، ونفى ذلك بعض أئمة النحاة، وأخذتْ بذلك هذه المحاولة الجديدة للتيسير ونُقلت صيغ الباب الى باب المفعول به حين يتعدد. وبالمثل ألغت ما يقوله النحاة في باب أعلم وأخواتها من ان المفعولين الثاني والثالث في مثل (أعلمت محمدا عليا مسافرا) أصلهما مبتدأ وخبر، لأن الباب مؤسس على باب علم مما يتعدى الى مفعولين، وما دام الأصل قد ألغى فينبغي ان يلغى معه الفرع، وتنقل صيغ الباب أيضا الى باب المفعول به حين يتعدد. وواضح أن هذه المحاولة أبقت على فرعين من فروع باب المبتدأ والخبر وهما باب إن واخواتها وباب لا النافية للجنس، لأن لهما أحكاما إعرابية مستقلة يجدر بالناشئة أن تعرفها. ونتقدم مع المحاولة فنراها تلغي بابي التنازع والاشتغال أخذاً برأي ابن مضاء وما لاحظه على البابين ـ كما مرَّ بنا ـ من أن صيغهما جميعا من افتراضات النحاة، ولذلك دعا الى حذفهما من النحو، وحرى أن يحذفا من النحو التعليمي للناشئة.

وأبقت هذه المحاولة لتنسيق أبواب النحو على المفاعيل جميعها والاستثناء والحال والتمييز، وقد نسقت الباب الأخير تنسيقا ترتب عليه حذف

ستة ابواب في كتاب النحو التعليمي ، وكان النحاة يقسمونه الى تمييز مقادير ومساحة وتمييز نسبة في مثل: «كرم محمد خلقاً» يقولون أصله كرم خلق محمد وفي مثل: «على فصيح بيانا» يقولون أصله بيان على فصيح ، وفي مثل: (وفجرنا الأرض عيونا) يقولون أصله: وفجرنا عيون الأرض، وإعراب كلمة (عيونا) في الآية الكريمة بدل أوضح لمنطق الناشئة من إعرابها تمييزا. وقد نسقت هذه المحاولة الجديدة لتيسير النحو باب التمييز تنسيقاً يَحْصُر صيغه ويُلْغى في الوقت نفسه من النحو التعليمي طائفة من الأبواب على هذا النمط:

مواضع التمييز:

يقع التمييز بعد ١ ـ اسماء المقادير والمساحة في مثل: «قدحٌ قمحاوي وفدانٌ ارضا»٢ ـ بعد الفعل اللازم مثل: «زيد طاب نفسا»٣ ـ بعد الصفة المشبهة مثل: «على فصيح بيانا» ٤ـ بعد اسم التفضيل مثل «زيد أكثر من عمرو ذكاء» ٥ـ بعد فعل التعجب مع إعراب صيغتيه في مثل: «ما أحسن الحديقة منظرا» و«أحسِنْ بالحديقة منظرا» أي اعتد بحسنها ومرَّ اعرابهما في الحديث عما اقترحته لجنة الوزارة من فتح باب لأساليب خاصة. ٦ـ أفعال المدح والذم في مثل: «نعم الصديق على شاعرا» وجمهور النحاة يعربون: «على» مخصوصا بالمدح مبتدأ وهو إعراب معقد، وأولى منه وأوضح اعراب إمام من أئمتهم لها بدلاً من الصديق، وإعرابها على هذا النحو يُعْفى كتاب النحو التعليمي من فتح باب لأفعال المدح والذم كما يعفيه إعراب صيغتي التعجب على نحو ما مرَّ بنا آنفاً من فتح باب خاص لعرضه. ٧ـ بعد كنايات العدد: كم، كأين، كذا، ولا داعي لإعراب هذه الكنايات ويكفي معرفةأن التمييز بعد كم الاستفهامية ـ ومثلها كذا ـ يكون مفردا منصوبا، وبعد كم الخبرية يكون مجرورا مفردا او مجموعا وبعد كأين يكون مجرورا مسبوقا بمن ـ وبذلك لا تكون هناك حاجة لفتح باب لهذه

الكنايات في كتاب النحو التعليمي لأنها عُرضت في التمييز ٨ ـ بعد الضمير المبهم في صيغة الاختصاص في مثل: «نحن ـ العرب ـ أوفياء» وإعراب العرب تمييزا أوضح من إعراب النحاة له مفعولا به لفعل محذوف. وبذلك يلغى هذا الباب من كتاب النحو التعليمي كما تلغى ابواب كنايات العدد وأفعال المدح والذم وفعل التعجب واسم التفضيل والصفة المشبهة اكتفاء بعرض أمثلتها جميعا في باب التمييز.

وألغى هذا التنسيق الجديد لأبواب النحو التعليمي بابي التحذير والاغراء في مثل: «النار» و«الصبر» أي احذر النار والزم الصبر، إذ الصيغتان وما يماثلهما تعربان مفعولا به لفعل محذوف فتعرضان في الحديث عن المفعول حين يحذف فعله. وأُلغيتْ أيضا ابواب الترخيم والاستغاثة والندبة، أما الترخيم وهو حذف الحرف الأخير في صيغة النداء، إذ يقال في جعفر: يا جعفرَ فهو صيغة قديمة أصبحت مهجورة في اللغة ولا داعي لعرضها في كتب النحو، وأما الاستغاثة في مثل: «يا زيدُ لعمر ـ يا زيد لعمرو ـ يا لزيد لعمرو» فهي صيغة خاصة تلحق بالنداء، ويكفي أن تعرف الناشئة استعمالها، ولا داعي لعرض ما يسوقه النحاة لها من إعراب معقد، ومثلها الندبة في مثل: «وازيدُ ـ وازيدا ـ وازيداه».

وواضح مما سبق أن هذا التنسيق الجديد لأبواب النحو يلغى منه ثمانية عشر بابا كانت ترهق الناشئة وتوهن قواها العقلية، وهو يستبقي بعد هذا الإلغاء عشرين بابا هي ابواب المبتدأ والخبر وإن وأخواتها ولا النافية للجنس والفاعل ونائبه والمفعول به والمفعول المطلق والمفعول فيه والمفعول لأجله والمفعول معه والاستثناء والحال والتمييز والإضافة والتوابع واعمال المصدر والمشتقات وحروف الجر والممنوع من الصرف والعدد وإعراب المضارع ونصبه وجزمه، سوى أبواب الصرف الكثيرة ما عدا الإعلال والميزان الصرفي. وينبغي أن يلاحظ أن أبواب النحو التي حذفت

لم تحذف صيغها بل ظلت وأدمجت في الأبواب المتبقية لغرض وضع بناء مبسط للنحو تستطيع الناشئة ان تستوعبه وتتمثله.

والأساس الثاني لهذه المحاولة استضاءت فيه بآراء ابن مضاء وبمقترحات لجنة وزارة التربية والتعليم وبقرارات مجمع اللغة العربية، وهو إلغاء الإعراب التقديري والمحلى في المفردات والجمل والاكتفاء في المفردات المعربة والمبنيّة أن يقال محل الكلمة الرفع او النصب او الجر. والاكتفاء في الجمل بأن يقال مثلا الجملة خبر او نعت او صلة. وترتب على هذا الاساس الغاء متعلق للظرف والجار والمجرور وإلغاء العلامات الفرعية في الإعراب وإلغاء عمل أن في المضارع مقدرة بعد كي ولام التعليل ولام الجحودوحتى وأو وفاء السببية وواو المعية.

والأساس الثالث إلغاء إعراب كل ما لا يفيد الناشئة صحة في النطق ولا سلامة في الأداء، من ذلك إلغاء إعراب كم الاستفهامية والخبرية في مثل «كم كتابا قرأتَ؟» «وكم درسٍ ذاكرتُ» لأن إعرابهما لا يفيد شيئا في صحة نطقهما ومثلهما «لا سيما» فضلا عن ان ما بعدها يمكن أن يكون مرفوعا او منصوبا او مجرورا. وبالمثل إلغاء إعراب ان المخففة من الثقيلة في مثل قوله تعالى: (أفلا يرون أن لا يرجعُ اليهم قولا) ويقدر النحاة لها اسما هو ضمير شأن محذوف وخبرها الجملة الفعلية وأوضح من ذلك أن تتعلم الناشئة أنها أداة ربط لا أكثر ولا أقل في مثل هذه الصيغة، وبذلك تتخلص من إعرابها المذكور آنفا مع ملاحظة أنه لا يفيد أي شيء في صحة النطق، وللنحاة في إعراب ادوات الاستثناء: «ما خلا ـ ما عدا ـ ما حاشا» إعراب معقد معروف، وحرى أن يهمل وإن يقال مع كل منها إنها أداة استثناء وما بعدها منصوب على الاستثناء في مثل «حضر الطلاب ما عدا عليا». وبالمثل

يتكلف النحاة اعراب أسماء الشرط: «من ـ ما ـ حيثما ـ أنّى ـ إذا» في مثل: «من يذاكر ينجح» واعرابها جميعا لا يفيد شيئاً في صحة النطق، ولذلك ينبغي ان يحذف من كتاب النحو التعليمي للناشئة كما حذف إعراب الكلمات السابقة تخفيفا على الناشئة.

والأساس الرابع وضع تعريفات وضوابط لبعض ابواب النحو المبهمة بحيث تساعد الناشئة على تصورها تصورا دقيقا، واختارت المحاولة ثلاثة ابواب هي المفعول المطلق والمفعول معه والحال، ووضعت للمفعول المطلق هذا التعريف الشامل لصوره وهو انه «اسم منصوب يؤكد عامله أو يصفه او يبينه ضربا من التبيين» وبذلك اوضح التعريف ان المفعول المطلق يتصل دائما بالفعل في الجملة إما تأكيدا أو وصفا او تبيينا ضربا من التبيين مثل: «كتب كتابة ـ كتب كثيرا سجد اربع سجدات ـ ضربه سوطا»، ووضعت المحاولة للمفعول معه هذا التعريف هو انه: «اسم منصوب تال لواو غير عاطفة بمعنى مع» وبذلك يتعين الباب في مثل: «سرت والحديقة» و«استيقظت وطلوع الشمس» ولا تختلط صورته على الناشئة أبدا. ووضعت المحاولة للحال هذا التعريف، وهو انه: «صفة لصاحبها نكرة مؤقتة منصوبة» وبذلك تتعين صيغة للناشئة ولا تعود الى الخلط بينه وبين التمييز والمفعول المطلق والنعت، اذ هو صفة مؤقتة مرتبطة بزمن فعلها كما في مثل: «أقبل زيد مبتسما».

وخامس الأسس في هذه المحاولة لتيسير النحو التعليمي حذف زوائد كثيرة من شأنها أن تعقد النحو وتجعل الناشئة تحس في تمثله غير قليل من العسر والصعوبة، من ذلك الشروط التي يدخلونها في بعض الأبواب كشروط صوغ اسم التفضيل وفعل التعجب وشروط

صاحب الحال وشروط اعمال اسم الفاعل وشروط اذن وحتى الناصبتين للمضارع. فكل هذا وما يماثله حذف في هذه المحاولة لأنه تغنى عنه أمثلة الباب إذ تكفي وحدها دون ذكر شروط لتصوره. ومن ذلك حذف صيغ لا تستعمل في العصر ككثير من صيغ التصغير مثل تصغير سنة على سُنَيَّة أو سُنَيْهة وتصغير معاوية على معيّة أو مُعَيْوية، وكتابع المنادى في مثل: «يا زيد الكريم» بالرفع مراعاة للفظ المنادى و«يا زيد الكريم» بالنصب مراعاة لمحله، وكعمل المصدر المعرف بالألف واللام في مثل: «زيدٌ مجيد التلاوة القرآنَ» والمستعمل ـ وهو الطبيعي ـ «زيد مجيد التلاوة للقرآن» وأكثر من ذلك يجيزون مجيء الفاعل بعد المصدر المضاف في مثل: «تلاوة القرآن زيدٌ حسنة» والطبيعي ان يقال: «تلاوة زيد القرآن حسنة»، وكل ذلك وما يماثله حذفته هذه المحاولة من النحو التعليمي لتيسيره، ولأن القواعد لا توضع لأمثلة شاذة او نادرة. ومن ذلك معاملة النحاة لاسم الفاعل إذا سبقه نفي او استفهام معاملة الفعل مع فاعله الظاهر في مثل: «أحاضر طلابك» ويعربون لفظ حاضر مبتدأ، وطلابك فاعل لحاضر سدَّ مسدَّ الخبر، وهي قاعدة لهم لا يسندها سوى بحث مجهول القائل، ومن الخطأ أن تنقض قاعدة المطابقة بين المبتدأ او الخبر ببحث لا يعرف قائله، والصحيح ان يقال: «أحاضرون طلابك» او «أحضر طلابك»، وبذلك ومثله خلُصت هذه المحاولة النحو التعليميَّ من شوائب ضارة كثيرة لم تكن تفيده إلا ضروبا من الاضطراب في أحكامه ومشقات شديدة.

والأساس السادس في هذه المحاولة زيادة اضافات ضرورية في النحو للناشئة حتى تتمثل اوضاع الصياغة العربية تمثلا سديدا. من ذلك ما ينبغي ان يوضع في مقدمة كتب النحو التعليمي من قواعد للنطق بكلم العربية نطقا سليما، بحيث يتعرفون على مخارج الحروف وعلى الحركات

والتشديد والتنوين وحروف اللين والمد وهمزتي القطع والوصل وغير ذلك مما يجعل الناشئة تحسن النطق بالعربية نطقا قويما. وينبغي ان يتضمن النحو التعليمي جداول تصريف الفعل مع ضمائر الرفع المتصلة ومع نون التوكيد، كما ينبغي ان يفتح فيه باب لعمل المصدر والمشتقات عمل الفعل وباب ثان للحروف الزائدة الجارّة وغير الجارة، وباب ثالث للذكر والحذف تعرض فيه عناصر الجملة في العربية وصيغ حذفها وصوره، وباب رابع لبيان التقديم والتأخير في هذه العناصر مقترنا بعضها ببعض، وباب خامس للجملة الاساسية في العربية: الاسمية والفعلية، وباب سادس للجمل المستقلة كالجملة المستأنفة والجملة الحوارية والجمل غير المستقلة كجملة الخبر والفاعل والمفعول والحال والنعت والصلة، وهو تقسيم ادق من تقسيم النحاة الجمل التي لها محل من الاعراب والجمل التي ليس لها محل. وفي النحو مفاتيح دقيقة لا تتضح في كتاب النحو التعليمي وينبغي ان تضاف اليه، من ذلك ان نون المثنى وجمع المذكر السالم بدل من التنوين في المفرد، ولذلك تحذف منهما ـ كما يحذف التنوين منه ـ عند الاضافة، وهي فيهما تخالف نون المضارع في مثل: «يقومان ـ يقومون» إذ هي فيه علامة إعرابه، ولذلك تحذف منه حين ينصب او يجزم. ومن ذلك ان جمع ما لا يعقل في الكون والطبيعة والأشياء يعامل مع الفعل والخبر والنعت معاملة المؤنثة المفردة، فيقال: «الأسود زأرت ـ تفتحت الأزهار ـ قرأت كتبا نافعة ـ شربنا مياهاً عذبةً». وفي المحاولة مفاتيح دقيقة كثيرة على هذا النحو تتيح للناشئة تمثُّل الصياغة العربية وأوضاعها تمثلا قويما.

أيها السادة :

واضح مما ذكرت أن أسلافنا لم يشكّوا يوما فيما ينبغي للناشئة من تيسير النحو وتبسيطه، وقد انبرى اعلامهم لهذه المهمة منذ الكسائي في

القـرن الثـاني الهجـري، إذ مضى على ذلـك بعـده ـ كما أسلفنا ـ أئمة المدارس الكوفية والبصرية والبغدادية والأندلسية والمصرية على مر القرون المتطاولة حتى العصر الحديث، يتنافسون فيما بينهم، وكل منهم يحاول ـ جاهدا ـ أن يفوز بقصب السبق في صنع المختصر الذي ينال استحسان العلمـاء في عصـره وبعد عصره، وقد أشرنا الى نحو ثلاثين مختصرا من مختصراتهم المشهورة وهي مهمة ألقى هؤلاء الأئمة بعبئها على عاتق معلمي العربية في عصرنا، كي يؤدوا للناشئة نفس الدور، ولا أرى من حق أحد أن يصـدّ عن هذا الصنيع أو يُنَفِّر منـه، لأنـه صنيع حتمي: كان حتميا في الماضي، وهو حتمي في الحاضر، وسيظل حتميا في المستقبل، تحتمه حاجة الناشئة إليه في كل عصر، وتجعله واجبا مفروضا على من ينهضون بتعليمها العربية، حتى يذللوا لها ما في النحو من صعوبات تئودها وترهقها من أمرها عسرا. وقد اقتنعت بمحاولة تيسير النحو الجديدة التي عرضتها على حضراتكم ولا ريب في أن الباب سيظل مفتوحا لمحاولات أخرى قد تكون أكثر دقة وفائدة في تيسير النحو التعليمي للناشئة، كما ظل مفتوحا ـ أكثر من ألف عام ـ أمام الأسلاف لرسم الصورة المثلى لاختصار هذا النحو وتبسيطه.

والسلام عليكم ورحمة الله

الدكتور شوقي ضيف

المحاضرة الثالثة :

تعريب العلوم الطبية

للاستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط
(سورية)

السبت : ١٨ شعبان ١٤٠٤هـ - ٩ أيار ١٩٨٤م

شرّفني الأخ الكريم الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة فطلب إليّ أن أحدثكم بموضوع بالغ الشأن، ألا وهو تعريب العلوم الطبية. وأنا أشكر له حُسْنَ ظنّه، فقد حَسِبني أهلاً للحديث في ذلك.. وما أنا في حقيقة الأمر إلا كما قال أبو عليّ البصير:

ولكنّ البلاد إذا اقشعرّت وصَوّح نبتُها رُعِيَ الهشيم!

على أنّ أخي عبدالكريم على رقّة طبعه، ودماثة خُلُقه، وخَفْض جناحه، يُلقي على المرء ظلال مهابة ذات خَفَر.. ولقد هِبْتُه مرّتين: مرةً حين لبّيت دعوته الكريمة وأنا أدرىٰ بمكانتي ومُكْنَتي.. داعياً الله أن يجنّبني التكلّف، ويعيذني من الخَطَل، ويحميني من العُجْبِ بما يكون منّي والثقةِ بما عندي، ويجعلني من المحسنين.. والمرة الثانية حين لم أسأله ما الذي إخال أدري أكان يقصد إلى ذلك الحصار المضروب على اللغة العربية والجدار الذي هو بأسوار السجن أشبه، يحتاط لغتنا العربية العلمية ويحول بينها وبين حريّة الانعتاق والانطلاق، وتلك قضية تعليم العلوم الطبية باللغة العربية؛ أم كان يعني خلاصة التجربة المتواضعة التي عانيناها في وضع المصطلحات واشتقاق الكِلَم، ثم في نقل العلوم الطبية إلى العربية؟ أو قُلْ: أكان يريد أن أناقش أصل القضية أم أن أتحدث عن التطبيق! وأقول: هِبْتُ أن أسأله، فرأيت ألاّ أفصل بين الأمرين، وأن أبدأ بالحديث عن الأصل منتقلاً إلى الفرع إذا سمح الوقت، وإلا فلذلك مقامٌ غير هذا المقام.

ولقد جرت العادة في الكلام عن تعريب العلوم الطبية بالمعنى الأول، أن يستعرض المتحدث حُجج القائلين بالتعريب والقائلين بعدمه، برصانة واتّزان وموضوعية، ثم يعقّب عليها بما يريد.

وكذلك سَوّلَتْ لي نفسي!

ثم أحْسَنِ الله بي فصَرَفني عن بُنَيّات الطريق، وألهمني أن أسلك الطريق اللاحب والجادّة الصريحة القاصدة، وعلى الله قصد السبيل ـ ومنها جائر ـ!

فاسمحوا لي أن اضع القضية في موضعها الحقيقي كما هو الواقع، في اطار الصراع الحضاري الذي تخوضه هذه الأمة، علّنا نفتح عيوننا على الخيوط التي تُنْسَج منها حياتنا تحت ظلام دامس قد أطلقه المستعمر ليخفي عنّا مكره بنا وخداعه لنا، فإذا تم نسيج هذه الحياة لبسناها كأنها حياة نابعة من سرّ أنفسنا، وبذلك يتمكن ان يقودنا كالأنعام، ونحن نحسب أننا انما نقود أنفسنا، وأننا نتصرف في هذه الحياة تصرف الحر الذي لا سلطان لأحد عليه. وهذا هو المعنى الذي رميت إليه قبل قرابة شهر، حين عقّبت تعقيباً مختصراً في مؤتمر المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية واستعملت مصطلح «القابلية للاستعمار» الذي وضعه اخي الاستاذ مالك بن بني رحمه الله. وقلت آنذاك إنه حينما بُعِث النبي ﷺ كان ثمّة مستعمِرون فرس ومستعمرون روم، وكان ثمة مستعمرون فعلاً من غساسنة ومناذرة ومستعمرون حكماً وهم سائر العرب، ولكن دعوة الاسلام قضت على ذلك الاستعمار بوجوهه القبيحة جميعاً في سنوات قليلة من الزمان، وما كان ذلك إلا الاسلام قد قضى على قابلية الاستعمار!

ما الذي أعنيه بقابلية الاستعمار؟

اسمحوا لي ـ وأنا طبيب ـ أن ألجأ إلى مصطلح الطب أستعيره لأُفْصح عما أريد. فقد كشفت البحوث الطبية والحيوية في العقدَيْن الاخيرين ان خلايا من خلايا البدن تحمل على سطحها ما يدعونه «المستقبلات»

receptors لمختلف المـواد. فتلك الخـلايا التي تكون محلاً لفعل مادة معينة: دواء معين أو سمّ معين أو مُفْرَز معين، تكون من قبل قد حملت على سطحها مستقبلةً تفتح لهذه المادة ذراعيها وتتلقّفها، فتدخل فيها كما يدخل المفتاح في القفل. ومتى تمّ ذلك انفتحت الخلية المستهدفة أمام المادة المستهدفة، وأخذت المادة الطارئة تفعل فيها فعلها وتجلّى هذا الفعل بسلوك.

ولست أريد أن أخوض كثيراً في التفاصيل، ولكني أؤمن بوجود كثير من أوجه التشابه بين هذه الخلايا البدنية وبين الخلايا الاجتماعية، أو بين البدن برمّته والمجتمع برمّته.

فالأمـة التي تتصف بالقـابلية للاستعمـار تحمل على سطحها وفي طيّاتها عديداً من المستقبلات للمكايد التي يطلقها الاستعمار ـ وهو شديد المحال ـ.

والاستعمـار يطلق سهـامـاً مختلفة، يتلقّفها من المستقبلات ما هو مستعدٌّ لها مهيّأٌ لاستقبالها. فهو يسلك مثلاً أسلوب مصارعة الثيران: يشغل بال الثور ـ الذي هو الانسان القابل للاستعمار ـ بقضيّة جانبيّة يركّز عليها هجومه، كمثل تلك البُرْدَة الحمراء التي يحملها مصارع الثور بيده ليلهي الثـور بهـا فيصرفه عن نفسه. وبذلك يغفل الانسان عن قضيته الأساسية ويستقتل في المعركة الجانبيّة التي تستنفذ قواه.

ولعل أوضح مثال على هذا الأسلوب، ما اتّبعه الاستعمار في موضوع لغة التعليم. فهو يعلم أنها قضية جوهرية، وأن من الخطر الشديد عليه أن يكون التعليم باللغة الوطنية، فيأتي ببُردة حمراء يطلق عليها اسم «مستوى

التعليم» ويوهم الناس بأن القضية الجوهرية هي قضية مستوى التعليم، ثم يوهمهم أن مستوى التعليم ينخفض إذا كان التعليم باللغة الوطنية وتدور رحى المعركة في هذا المنعطف الجانبي، تستغرق جهود المُعْتَركين وتَلْفِتُهم عن قضيّتهم الأصلية التي أراد الاستعمار صرفهم عنها فيكون له ما أراد..

أما المستهدَفون الذين أطلق عليهم الاستعمار هذه المكيدة فموقفهم مختلف جداً. فأما أولئك الذين يتمتّعون بقابلية الاستعمار فانهم يتلقّفون هذه المكيدة تَلَقُّفاً ويؤمنون بها ويدعون لها ويكافحون في سبيلها، وجُلُّ هؤلاء من المخلصين الذين أُخِذوا من غفلتهم وهم يظنون أنهم يخوضون معركتهم الحقيقية. وأما الذين لا يحملون في جلدتهم مستقبلات تتلقّف المكايدالاستعمارية، فان هذه البُردة الحمراء لا تغشّهم ولا تخدعهم وإنما يبحثون عن حقيقة الأمر وجوهر القضية.

وقد حدث مثل ذلك في المغرب فقد كان طبيعياً أن يُعَرّب التعليم بعد الاستقلال. ثم إذا بالأبواق تُنْفَخ بعد سنين بانخفاض مستوى التعليم. وقد كان ذلك حقاً، فقد تدنّى مستوى التعليم عمّا كان عليه من قبل. ولكن اللجنة التي أُلِّفَتْ للنظر في الموضوع لم تكن بالغفلة التي كان يرجوها الاستعمار فجاءت بالكتب التي يدرسها الطفل في المرحلة الابتدائية جميعاً، وجرّدت ما فيها من مفاهيم فكان عددها «س» مثلاً. وصنعت مثل ذلك في الكتب المماثلة التي تدرّس في سائر البلدان العربية فكان العدد دائماً «س» ينقص قليلاً أو يزيد قليلاً. ثم جاءت بالكتب التي يدرسها الطفل في فرنسة في المرحلة نفسها، وجرّدت ما فيها من مفاهيم فكان عددها «ع». وصنعت مثل ذلك في الكتب المماثلة التي تدرّس في سائر البلدان الأوروبية

فكان العدد دائماً «ع» ينقص قليلاً أو يزيد قليلاً. ولكن «السين» لا تكاد تصل في أحسن الأحوال الى نصف «العين». فالقضية ليست إذن قضية «لغة» التعليم وانما هي قضية «محتوى» التعليم. أما سبب هذا التفاوت الهائل فما اظن حساب الاحتمالات وقوانين المصادفة بقادِرَيْن على أن يقدّما له تفسيراً ولكن هذا موضوع آخر.

وأنا أنقل عن مقالة نفيسة للأستاذ الجليل أحمد الأخضر غزال أحد أعضاء اللجنة التي أسلفت الحديث عنها، منشورة في مجلة البحث العلمي المغربية سنة سبع وستين يقول فيها:

«. . . بعد احصاءات عديدة ومتنوعة غايتها مقارنة الكتب الأوروبية الرسمية (في اسبانيا وفرنسا وايطاليا وألمانيا وانكلترا) بالكتب العربية كيفما كان بلدها. وما اثبتنا هنا من أرقام يعتبر معدلاً بين الكتب الأوروبية وبين الكتب العربية:

الحيوانات	الكتاب الأجنبي	١١٢	اسماً	الكتاب العربي	٤٤ اسماً
النباتات	» »	٩٥	»	» »	٢٢ »
جسم الانسان	» »	٥٠	»	» »	١١ »
المحسوسات	» »	٣٧٠	»	» »	١٠٦ »
الأوصاف	» »	٢٦٢	»	» »	٩٤ »
الأفعال	» »	٤٤٤	»	» »	٢٥٠ »
المجموع		١٣٣٣			٥٢٧

ثم يقول أخيراً: «واذا انخفض المستوى فهناك سبب، وهذا السبب هو أننا **لا نتعلم بلغتنا ما نتعلّمه بلغة غيرنا**»!

ولو أن أعضاء اللجنة كانوا كأولئك الذين يقرّرون لغة التعليم العالي في كثير من البلاد لاستمالتهم البُرْدة الحمراء بُرْدة مستوى التعليم وجعلتهم يعودون بالتعليم الابتدائي في المغرب الى اللغة الفرنسية. . . ولكن الله سلّم!

وما دمتُ في هذا الصدد، فلأضرب مثلاً آخر ألصق بلغة التعليم وهو تعليم الطب في مصر.

بدأ التدريس الطبي في مصر سنة ١٨٢٧ يوم أسّس محمد علي في أبي زعبل ثم في قصر العيني أول مدرسة للطب الحديث وكانت لغة التعليم بالطبع هي العربية. وأقول بالطبع لأن هذا هو الأمر الطبيعي الذي تستوجبه طبائع الأشياء: أن يكون تعليم كل قوم بلغتهم. . وهذا هو الواقع الآن في كل بلاد الدنيا إلا بلاد العرب. . وكان أوّل من شمّر عن ساعديه لإتقان العربية ثم التعليم بها الطبيب الفرنسي العالم كلوت بك، فقد تخلّى عن قومه ومطامعهم وأخلّص للبلد الذي كان به حفيّاً، ورعا ـ لله دَرُّه ـ تعليم الطب في مصر باللغة العربية تعليماً دام قرابة سبعين سنة. أما الكتب التي كانوا يدرّسون بها فهي اليوم بين أيدينا، وقد أخذنا منها الكثير الكثير في وضع المعجم الطبي الموحد،وهي تشهد بالمستوى العلمي الراقي الذي كان عليه ذلك التعليم والذي لم يكن ليقلّ عن مثيله في أي بلد من بلدان الغرب آنذاك.

ثم بدأت مكايد الاستعمار وهجماته تتوالى حتى انتهت بالاحتلال الانكليزي لمصر في ثمانينات القرن الماضي. وترافقت المراحل الأخيرة السابقة للاحتلال بمحاولات مكتوبة ومنشورة لعدد من دهاة الأوروبيين الذين جاءوا الى مصر ليمهّدوا لما حدث بعد ذلك، وكان منهم Wilhelm

Spitta مدير دار الكتب المصرية وخلفه Karl Vollers ، وكان منهم J. Seldon Willmore و A. Pawel وهما قاضيان بالمحاكم الأهلية بالقاهرة وWilliam Willcoks مهندس الريّ بالقاهرة. وقد أصدر الأول سنة ١٨٨٠ كتاب قواعد العامة في مصر Vulgardialectes von Agypten Grammatik des Arabischen وقد طبع في ليبزيغ، والثاني The Modern Egyptian Dialect of Arabic وقد طبع في كمبريدج، والثالث The Spoken Arabic of Egypt وقد طبع في لندن كما القى ديكوكس محاضرة بالعربية سنة ثلاث وتسعين عنوانها:

«لِمَ لَمْ توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن؟» ونشرها في مجلة الأزهر. وسأقتطف من بليغ كلامهم مقتطفات قصيرة أوردتها الاستاذة الدكتورة نفوسة زكريّا سعيد في كتابها النفيس «تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها في مصر».

قال شبيتا: «وأخيراً سأجازف بالتصريح عن الأمل الذي راودني على الدوام طوال مدة جمع هذا الكتاب، وهو أمل يتعلّق بمصر نفسها ويمسّ أمراً هو بالنسبة اليها والى شعبها يكاد يكون مسألة حياة أو موت. . فكل من عاش فترة طويلة في بلاد تتكلم العربية يعرف الى اي حد كبير تتأثر كل نواحي النشاط فيها بسبب الاختلاف الواسع بين لغة الحديث ولغة الكتابة».

وجاء في كتاب ويلمور فقرة يناشد فيها الحكومة المصرية لتعترف بالعامية وتقرّها ويناشد الانكليز لتدعيم هذه العامية ليساعدوا على تقدم الشعب الروحي كما ساعدوا من قبل على تقدمه في الحياة المادية (كذا)!!

أما ديلكوكس فقد جاء في محاضرته :

« . . . ولما أراد الله رفع هذه الأمة (يعني الانكليز والامريكان، وإظهارها على الأمم وتأييد سلطانهم، أيقظ أفرادها من نومهم ونبّههم من عقلهم وألهمهم ان الحجاب بينهم وبين ترقّي معلوماتهم انما هو تسطير أفكارهم بهذا اللسان المهجور الخفي (يعني اللاتينية) فأخذت علماء انكلترا تبحث عن اللغة المشهورة القوية الشديدة بين فحّييهم (كذا) . .

الى أن يقول :

«وانتم أيها المصريون لن تزالوا قادرين على ايجاد قوة الاختراع لديكم كما فعلت انجلترا، فأنه يوجد فيكم أناس كثيرون توفرت فيهم الشروط المارة ولكن بسبب عدم وجود لسان علمي مشهور فيما بينكم لم تتحصلوا على شيء وأضعتم أعمالكم سدى . . »

إلى أن يقول :

«ربما يقول أحدكم : حيث لم يوجد لسان حي اكتب به فأكتب بلسان أجنبي كالانجليزي فأقول له لا تغرر بنفسك في بحر شديد الأهوال كثير الأمواج من غير نتيجة . فانه لا يمكن أن اللغة الأجنبية تكفي في تحرير كتب توصل الى قوة الاختراع . . غاية الأمر أنها تساعد نوعاً من المساعدة فحينئذ يمكننا أن نقول إن لغة الانسان الحية كامرأة حسناء واللغة الأجنبية كالجارية، والست أحسن من الجارية، ولكن اذا كانت لغته خفية (وهو يعني بذلك الفصحى) تكون مثل الجارية وعندئذ تكون (الأجنبية) أحسن منها . وأقول هذا عن أصدقاء ومعارف كان يمكنهم أن يتبوّؤوا مركزهم بين مهندسي

العالم في الأقطار الاخرى لولا انهم كانوا يفكرون بلغة ويكتبون بأخرى . . »
انتهى ما اقتبسناه من كلامه .

فنحن نرى انه يطرح حقيقة واقعة في حياة الأمم وهي ان استعمال اللغة الأجنبية في التفكير والتعبير لا يمكن أن يؤدي الى قوة الاختراع ، ولكنه سرعان ما يصرف النظر عنها بأن يبني عليها الدعوة الى العامية بدل الفصحى .

وقد تَبِعَ هؤلاء في دعواهم نفر من الكتاب في مقدمتهم سلامة موسى ، وأيّدتهم مجلات متعددة في طليعتها المقتطف والهلال . . ثم لمّا لم تفلح هذه الدعوات في صرف الناس عن الفصحى التي تؤلف للمجتمع المصري لُحْمة بنيانه وتحفظ عليه تَماسُكه ، ألقى المستعمر القناع عن وجهه ، وجاء دنلوب بنظامه المخيف فقلب لغة التعليم إلى الانكليزية وانشأ نظاماً يضمن خفض المستوى العلمي والحضاري في ابناء الأمة الى ما شاء الله ، وكان من جرّاء ذلك ان تمّ تحويل لغة تعليم الطب في كلية طب قصر العيني الى الانكليزية . . فلعلّ أحداً يستطيع إقناعي بأن هذا التحويل كان لمصلحة تعليم الطب للمصريين ولايجاد قوّة الاختراع لديهم ، وليساعد على تقدّم الشعب الروحي كما ساعد من قبل على تقدّمه في الحياة المادية ! !

في نفس الوقت الذي كان المصريون يحاولون فيه تلمّس سُبُل نهضتهم في أواخر القرن الماضي كان اليابانيون يصنعون مثل ذلك في ثورة الميجي Meiji . . فقد أرسلوا البعوث الى أوروبة لتعود فتنقل العلم الى لغة اليابان . . ولكن لم يُتَحْ لليابانيين أن يستمتعوا بنعيم الاستعمار البريطاني الذي يساعد على تقدم الشعب الروحي كما ساعد على تقدّمه في الحياة

المادية، فماذا كانت النتيجة؟ ما اظن المرء بحاجة الى الحديث عن حضارة اليابان وعظمة اليابان! وقد كانت مصر مؤهلة لمثل ذلك لولا أن وَأَدَ الاستعمار ذلك الأمل بتحويله لغة التعليم الى لغة أجنبية فقضى بذلك ـ كما يشهد أحد أساطينهم ـ على قوّة الابداع والاختراع . . ولم يَكْتَفِ بذلك بل أقنع المصريين الذين تخرّجوا على نظام دنلوب أنه إنما فعل ذلك لترقيتهم وتمدينهم وأن تعليمهم الطب باللغة الانكليزية سيرفعهم من الحمأة التي كانوا فيها يوم كانوا يعلّمون الطب بالعربية سبعين عاماً . . وها قد مضى على هذه النكسة تسعون عاماً وما زالوا ينتظرون!

واسمحوا لي ان أعود الى الحديث عن اساليب الاستعمار. وسأكتفي بمثالٍ ثانٍ فحسب يزيّن فيه الاستعمار لأولئك الذين يستهدفهم أمراً معيّناً على انه بديهية مسلّمة ووسيلة مضمونة للوصول الى الغاية الكريمة، ولكنه يكون بذلك قد نَصَبَ لهم فخّاً لا يلبثون أن يقعوا فيه إن كانوا يتحلّون بخاصيةالقابلية للاستعمار. هذاالمثال يتلخّص في شعارطالما طرحناه على انه يمثل مطمحاً من أهمّ مطامحنا القومية : «الحقوق تؤخذ ولا تُعطىٰ» وغاية هذا الشعار أن يجعل الانسان لاهثاً في البحث عن حقّه، منتزعاً له أو مستجدياً له على حد سواء . . ويضيع في خضمّ ذلك بحثه عن الواجب فيتألّف مجتمع اليد السفلى كما يسمّيه الاسلام وهو مجتمع لا يمكن له ان ان يؤدي رسالة حضارية أو أن ينطوي على أمل من آمال التقدم والرُّقيّ . ولعل هذا الأمر من أهم الأمور التي نبّه عليها النبيّ ﷺ حين كان يجتثّ جذور القابلية للاستعمار من المجتمع العربي الذي أقامه على أساس الإسلام . فقد كانت وصيّته للمؤمنين حتى في أحلك الظروف ويوم تكون الأَثَرة والأمور التي ينكرونها : «تُؤَدُّون الحقّ الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم» وما كان ذلك تواكلاً من التواكل ولكنه فهم عميق لطبيعة الأشياء . . .

فليس يخفى أن قيام كلٍّ بواجبه يعني بالطبع تَوَصُّل كلٍّ إلى حقه، ولكن على أن يكون ذلك من منطلق إيجابي . . من مُنْطَلَق نفسية العطاء . . من مُنْطَلَق اليد العليا . . من مُنْطَلَق الذين يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة . . مجتمع كهذا لا يمكن أن يكون قابلاً للإستعمار! بل إنّا لنذكر كيف أن عمار بن ياسر رضي الله عنه كان يحمل حمل رجلين اثنين وهو يساهم في بناء مسجد المدينة الأول الذي كان رمزاً لبنيان الحضارة وتعبيراً عن هذا الروح الجديد في المجتمع الجديد.

مثلُ ذلك أو شبيهٌ به حَدَث في دمشق في أوائل هذا القرن. فقد أُسِّسَتْ في دمشق سنة تسع عشرة مدرسة طبيّة عربية اللسان باسم «المعهد الطبي العربي» في عهد حكومة الأمير فيصل بن الحسين قبل أن يُتَوَّج ملكاً على سورية. وكان هذا المعهد خَلَفاً «لمدرسة الطب العثمانية» التي فتحت أبوابها في دمشق سنة ثلاث. وكان التدريس في هذا المعهد الذي أصبح فيما بعد كلية الطب في الجامعة السورية ثم جامعة دمشق . . باللغة العربية. ولم يَقْوَ الانتداب الفرنسي الذي فرض على سورية بُعَيْد إنشاء المعهد واستمرّ ربع قرن من الزمن، لم يَقْوَ على تحويله عن ذلك، وكل ما في الأمر أنْ زِيد في مناهجه درس للغة الفرنسية، وأدخل في عداد هيئة التدريس ثلاثة أساتذة فرنسيين يلقون محاضراتهم بالفرنسية وكانت هذه المحاضرات تترجم في بادىء الأمر الى العربية.

أساتذة المعهد الطبّي أولئك انطلقوا من منطلق القيام بالواجب! آمن كلٌّ منهم بأن لغة الأمة ضمانةٌ لحسن الاستيعاب وحُسْن الإبداع فيما بعد . . وكان كثيرٌ منهم «عَمَّاري» النزعة يحمل حمْل إنسانين في مرحلة البناء . .

وأستميحكم عُذْراً فقد كاد الحياء يمنعني من الحديث عن رجلٍ منهم للصلة التي تربط بيني وبينه، فقد كان شيخي وأستاذي وصديقي . . وأبي . . الطبيب الجراثيمي أحمد حمدي الخياط رحمه الله وأحسن إليه . . ولكن أمانة التاريخ أقوى عندي من حياء القُرْبى . .

كان رحمه الله رجلاً ساكن الهيبة، رقيق الحاشية، ساحر الابتسامة، رفيق اليد واللسان، حُلْوَ المنطق، خفيضَ الصوت، ذكيّ العينين . . . ولكنّه كان قبل ذلك كله وفوق ذلك كله من الذين يؤمنون بالعمل الصامت الدؤوب، ولذلك بقي مُبْتَعِداً عن ضوضاء السياسة وبريق الأضواء، منصرفاً إلى عمله الجدّي في تعريب الطب. وقد حَدَّثَنَا عنه بعض أساتذتنا من طلابه، أنهم كانوا يرونه بين المحاضرة والمحاضرة يتسلّل الى غرفته فيغيب فيها عنهم حيناً ثم يعود ليعاود العمل. فلما دفعهم الفضول الى التحرّي عما يفعل، وجدوه يأتي برفادات يبلّلها بالماء البارد فيضعها على رأسه ليخفّف ما به من احتقان، حتى يستطيع أن يتابع العمل دون توقّف. ثم لا يكاد بعد ذلك يرفع عينيه عن كتاب ينظر فيه أو لفظة ينقّر عنها أو مصطلح قديم يجلوه، أو كتابٍ هو حصيلة ذلك كله يصنّفه ثم يضعه بين ايدي أبنائه وطلّابه.

ولكنه لم يكن إلا واحداً من رعيلٍ من العلماء الذين انقطعوا للعلم، ولكنهم آمنوا بأن هذا العلم يجب أن يكون بلغتهم وبمصطلحاتهم وألفاظهم. . لم يريدوه بلغة غيرهم ولو أرادوه لكان ذلك ـ في حساب المشقات والجهد ـ أيْسَرَ وأدنى ؛ ورفضوا أن يكون بواحدة من هذه اللغات الأجنبية التي كانت تلقي بظلها الثقيل هنا وهناك على الحياة العربية الناشئة في الشام أو في العراق او في مصر او في غيرها من الأقطار العربية في

الشمال الأفريقي، واتجهوا به شطر العربية حتى يزاوجوا بين اللغة والفكر، وحتى يجنّبوا الأجيال الناشئة شرَّ هذا التمزق بين لغة نتحدّث بها ولغة نفكّر فيها، وحتى يَفُوا للمُثُل التي صدروا عنها والإيمان الذي التزموا به. . ولذلك آلَوْا على أنفسهم أن تكون العربية أداتهم التي بها يكتبون حين يكتبون، ويفكّرون حين يفكّرون، ويعلّمون حين يعلّمون.

وكان عملهم هذا سعياً وراء الخروج بلغتنا العربية من إطارها الأدبي الذي تجمّعت فيه في فترة من الزمن إلى إطارها الفكري والعلمي الذي يبيح لها أن تكون أداة طيّعة في خدمة حضارة هذه الأمة واستئناف مهمّتها.

واسمحوا لي أن أعود الى الصراع الحضاري والتحدّي الحضاري. فنحن حين نناقش الأمور انطلاقاً من نفسية المهزوم، ننسى المهمّة الكبيرة التي أُعِدَّتْ لها هذه الأمة. .

لم يكن خروج العربي حين خرج يحمل القرآن الى أرض الحضارات السابقة خروجاً ذاتياً، بل كان إخراجاً محمولاً بقدرة إلّهية تفوق قدرته الذاتية: «كنتم خير أمّة أُخْرِجَتْ للناس». . وقد كانت المهمة التاريخية تكمن في استيعاب حوض الحضارات باللسان العربي، أي تعريب الحضارات التقليدية، ثم تقديم الحضارة البديلة التي كُلِّفَتْ هذه الأمة بحملها إلى الدنيا إلى الأبد.

وهذا هو الذي أسمّيه البُعْد الخامس لهذه الحضارة، إذا كنّا نعبّر عن المكان بثلاثة أبعاد ونعتبر الزمان هو البُعْد الرابع. . البُعْد الخامس هو ذلك البُعْد الغيبي الذي حَوّل الأمّة الأميّة إلى أمّة الكتاب والحكمة: «بَعَث في

الأمّيّين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكّيهم»! وكانت اللمسة الغيبية التي فجّرت الحضارة في هذه الأمّة كلمةً واحدة: «إقْـرَأْ!» وهي قراءة مزدوجة كما تعلمون، فهي ربّانية التوجيه: «اقرأ باسم ربك»، وهي علمية الوسيلة «اقرأ وربُّك الأكرم، الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم». ولقد فَقِهَ الأوائل من أبناء هذه الأمة تلك المهمّة التي أُخرجوا من أجلها، وعبّر عن ذلك رِبْعي بن عامر رضي الله عنه في حديثه الى رستم: «الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا الى سَعَتها، ومن جور الأديان الى عدل الإسلام».. ومن ثَمّ كانت هذه الحضارة العالمية العظيمة التي أخرجت الناس جميعاً من ضيق الدنيا إلى سعتها. وكانت اللغة العربية دائماً قوام هذه الحضارة وأداتها في فهم هذه المهمّة، وذلك ما اصرّ عليه النبي ﷺ حين قال: «ليست العربية بأحدكم من أبٍ أو أم.. إنما العربية اللسان!».

والذين يظنّون أن مهمتهم هذه قد انتهت، يستطيعون بالطبع أن يحيلوا أنفسهم على التقاعد.. ولكن على أن يكفّوا عن التحدّث باسم هذه الأمة، لأن تولّيهم عن مهمة القيادة سرعان ما يتلوه الاستبدال: «وإن تتولّوا يستبدل قوماً غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم».. أما الذين هم باقون على عهد الله، فيلعلموا أن «الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة» وأن العربية هي لسان هذه الحضارة العالمية التي جاء بها أجدادهم من قبل، والتي عليهم أن يخرجوا بها الى العالم من جديد..

وانظروا الى أولئك الذين غَزَوكُمْ ليتحدّوا حضارتكم هذه العالميةَ بالحضارة الغربية التي يمثّلونها.. بِمَ بدأ غَزْوُهم؟ أليس بالجامعة العبرية اللسان في الربع الأول من هذا القرن.. وما الذي فعله باراسيلزوس

Paracelsus-حين بدأ النهضة الطبية الغربية في القرن السادس عشر؟! ألم يأت بكُتُبكم كتب ابن سينا فيحرقها امام جمع حاشد في مدينة بازل مُحْرِقاً معهـا كل صلة بحضـارتكم، ومضيئـاً مشعـل الحضـارة الجـديدة التي تتحدّاكم، والتي تتمثّل اليوم في أرضكم، بالجامعة التي يعلّم فيها بالعبرية أساتذةُ الطب العالمي الانكليزي والفرنسي والالماني والروسي؟

ما الذي جرى لعِلْم المسلمين أو قُلْ What is wrong with Muslim Science كما يقول فرانسيس غايلز Francis Ghiles في مقاله القيّم الذي نشره في مجلة Nature قبل عام . . «ما الذي أنْضَبَ رَفْدَهُمُ الهائل للحضارة الانسانية في ميدان العلم ولا سيّما الطب والرياضيات . . يوم كان حُكّامهم في أوج حضارتهم في بغداد والأندلس يحيطون أنفسهم بالعلماء والأدباء . . ويوم وفّروا جواً من الحرية سمح للمسلمين والنصارى واليهود أن يعملوا جنباً الى جنب في إغناء هذه الحضارة . . لم يبق من ذلك كله اليوم إلا ذكريات!» .

وهـذه الأُلْهِيّة الجـديدة التي يضحكـون علينـا بهـا «نقـل التِقَـانة» transfer of technology ليلهونا عن «نقل العلم»! نحن لسنا في حاجة الى نقـل حديد الحضـارة الغـربية hardware بل نحن في حاجة ـ كما يقول تشارلس وَيْس Charles Weiss, Jr في مقال نشره في مجلة Science ـ إلى ما دعـاه «مِنْـطاق التقـانة» software of technology فالعلم ليس منظّمة صناعية ولا مؤسسة بيروقراطية ولكنه ينمو ويترعرع ويعيش بفضل علائق بني الانسان وتعاونهم وتنافسهم . . ولن يتأتّى لهذه العلائق المتبادلة أن تكون ما لم يساهم الطبيب العربي والعالِم العربي في تقدم العلوم، ولن يفعل ذلك

ما لم يفكّر بلغته ويعلّم بلغته ويبحث بلغته، وإلا فسنبقى مستوردين للحضارة مكدّسين لمنتوجاتها إلى الأبد.

لقد دفعني عملي الذي اضطلع به اليوم الى الاطّلاع عن كثبٍ على تعليم الطب في الجامعات المصرية، فرأيت استاذاً يستعمل لغة لا يعرفها لينقل العلم الطبي الى طالبٍ لا يعرف أيضاً هذه اللغة!

إن مستوى تعليم اللغة الأجنبية في المدارس الثانوية مستوى تعيس كما تعلمون.. أما المدرّسون في كليات الطب فقد أصبحت كثرتهم الكاثرة تتابع الدراسة العليا في مصر فلا يخرج الواحد منهم أبداً الى بلد انكليزي اللسان. وإنما زادهُ من اللغة الانكليزية بقايا ما تعلّمه في المرحلة الثانوية، مع ما ارتكم فوقه من كلام أساتذته من بني جلدته الذين يرطنون بلغة غير لغتهم. فكم من المحتوى الطبي يستطيع هذا المدّرس أن ينقل إلى تلميذه خريج الدراسة الثانوية؟

وهذا الذي سقته مثالاً لا يقتصر على مصر وحدها بالطبع، فما رأسُ ماله من اللغة بأقلّ من ذاك الذي يأتي به أحد أبناء اعراب القصيم أو جبال الأوراس.. فلمصلحة مَنْ هذا التجهيل؟

وكم من الأطباء الخرّيجين يُتابع العلم بعد تخرّجه في مجلة أجنبية؟ أستطيع أن أجيبكم على هذا السؤال بيقين، فأنا اليوم مسؤول عن المكتبة والمطبوعات في هذا الإقليم.. وأقول لكم إن نسبتهم المئوية لا تتعدى خمسة في المئة في أحسن الظروف. ثم يقولون لنا إننا نعلم الطالب بالانكليزية أو الفرنسية أو الايطالية حتى يستطيع متابعة الركب العلمي بعد تخرّجه.. فأيّ ركبٍ هذا؟

لقد عُلّمت العلوم في السنة الإعدادية للطب باللغة العربية سنة واحدة في كلية العلوم بالجامعة الأردنية، فانخفض عدد الراسبين من خمسة وثلاثين بالمئة الى ثلاثة بالمئة، وارتفعت معدّلات الناجحين. . ويبدو أن ذلك كان في نظر بعضهم دليلاً على سوء الاستيعاب لدى الطلاب، فعادوا بالتعليم الى الانكليزية لأن كثرة عدد الناجحين دليل على سوء الفهم وسوء التعليم!

ان الظاهرة العظيمة في تطور تاريخ العلوم من الناحية الاجتماعية، هي في ديمقراطية المعرفة ومشاركة الشعب بجميع طبقاته في التعلم والتعليم، ولم يكن من الممكن أن يتمّ ذلك لولا استخدام اللغة الوطنية اداة للتّفاهم بين الجميع.

فديمقراطية العلم نتيجة حتمية لاستخدام اللغة الوطنية. وإصرار الجامعيين على استخدام لغة خاصة بهم لا يفهمها غيرهم هو تعبير نفسي عن الشعور بالتميّز وإشعار للآخرين به، وهو يعني الترفّع عن المجتمعات التي اليها ينتمون.

وقد استهدف الاستعمار من استخدام اللغة الأجنبية في التدريس الجامعي، وفي كليات العلوم التطبيقية بشكل خاص، إقامة حواجز تقضي على مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم العالي.

ثم إننا ننادي اليوم في جميع أرجاء العالم بشعار «الصحة للجميع بحلول سنة ألفَيْن» وقوام ذلك «الرعاية الصحية الأولية» وهذه لا تقوم الا على اساس متين من مشاركة المجتمع مشاركةً كاملة. . فكيف سنعلّم المجتمع الثقافة الصحية والطبية؟

سيطول انتـظار الجـامعيين حتى يفهمهم ويتعاون معهم مستمعون يؤلفون الكثرة الساحقة من مواطنيهم الأميين. . إن كانوا سيحدثونهم بغير لغتهم!

وسيبقى العلم للجامعيين تسلية ومتعة شخصية اذا لم يستهدف خدمة المواطنين!

والتزام قواعد الصحة لا يمكن ان يتم بالتخويف من لغـة المرض، ولا يمكن لأية حملة من حمـلات المكـافحـة ان تنجح الا اذا شارك بها وتحمّس لها أولئك الذين نعمل لخلاصهم من المرض والتخلّف. . وقُلْ مثل ذلك في حقول الزراعة والصناعة وفي كل المجلات.

وفي البلاد العربية جميعاً مشكلة الفصحى والعامية، فإذا أضفنا إلى ذلك لغة أجنبية يتكلم بها الجامعيون العلميون، كان الحوار والتفاهم غير ممكن بين أبناء الأمة الواحدة أو هو يتم في ثلاثة مستويات، فاقرار العربية لغةً للعلوم يمهد لاذابة الحواجز بين المتعلمين والجماهير.

وبعد، فليس يعني التعليم بالعربية إضعافاً لتعليم اللغات الأجنبية على الإطـلاق. . هذه بُرْدَةٌ حمـراء أخـرى ينـطبق عليهـا مجدداً أسلوب المستعمر في مصارعة الثيران.

ونَعَمْ، لدينا أجيال كاملة عاجزة عن فهم أية لغة أجنبية. ولكن العجز في هذه الحالة ليس ناتجاً عن الاعتزاز باللغة القومية او التعليم بها، وانما هو نتيجة إخفاق طويل الأمد في السياسة التعليمية. هذه الأجيال لن تستطيع أن تكتسب من الثقافة العالمية اكتساباً صحيحاً كاملاً الا ما ينقل إليها معرّباً، أي إن التعريب هو نافذتها الوحيدة للإطلال على العالم.

وثمّة بُرْدَةٌ حمراء أخرى هي موضوع التخصّص العالي . . فالتعليم بالعربية يستلزم كما يقولـون ان يقضي خريج كلية الطب سنة أو أكثر لإتقان اللغة الأجنبية قبل دراسة الاختصاص وفي هذا وقت وجهد ضائع . . ولكن جُلَّ خريجي الجامعات التي تدرّس فيها العلوم الطبية بلغة أجنبية يحتاجون إلى مثل ذلك فدراستُهم بلغة أجنبية لا تعني أنهم اتقنوا اللغة، وما يُقبل منهم في بلادنـا من لغة أجنبية لا يقبل في البلد الأصلي لهذه اللغة الأجنبية، وأوراق الامتحـان التي اطّلعتُ عليها في بعض جامعاتنا التي تدرّس بلغة أجنبية وينجح كاتبوها، لو أنها كتبت في البلد الأصلي لهذه اللغة الأجنبية لكان إعطاؤها الصفر صدقة من الصدقات . ومع ذلك، فانه ليس منطقياً ولا جائــزاً أن نحمـل لغتنـا من أجـل حاجـة فئـة محـدودة ممّن يرغبـون في الاختصاص، وفي فروع قد تتبدل فيها مراكز الثقل بين عام وآخر تبعاً لعديد من الظروف فلا تتفق مع اللغة الأجنبية التي درسوا بها!

ومن فِخاخ «نفسية اليد السفلى» التي ينصبهـا الاستعمـار موضوع الترجمة . فمن الناس من يقول إن تعليم الطب بالعربية يصبح ممكناً متى تمّ تأليف عدد كافٍ من المراجع بالعربية أو ترجمتها، ومتى صدرت مجلّة واحد على الأقل تتابع الركب العلمي المتطور . . أو مجلّات . . ومتى تمكّن المـدرس من اللغـة العـربية فأصبح يحسن الحديث بها . . ومتى تهيّأت المصطلحات اللازمة للترجمة . . وكفى الله المؤمنين القتال!

فمـا الـذي فعله السادة الداعون بهذه الدعاية من أجل الترجمة أو المصطلحات او تقوية اللغة؟ يكفي ان نتحدّث بلسان الحقّ أما الواجب فهو من شأن غيرنا في كل مجال!

أريد أن أقرأ عليكم فقرات من رسالة مفتوحة وجّهها الكاتب العربي الكبير الأستاذ أحمد حسن الزيّات رحمه الله قبل اربعين عاماً الى وزير المعارف المصرية في ذلك الحين؛ قال فيها:

«. . والأدب العربي قاصر في بيانه لأنه مقطوع الصلة بحضارة العصر، فلا يستطيع أقدر كتّابنا أن يتحدث عمّا يستعمل من ماعون وأثاث ولا أن يصف ما يركب في باخرة او طائرة. ومجمعنا اللغوي على ما نرى من نشاطه لن يقدم الى الناس معجمه المنتظر الا بعد جيل او جيلين، حين يكون كل شيء في العالم قد تغيّر أو تطوّر، فيصبح معجمه في الجدة يومئذ كمعجم «لسان العرب» اليوم! والزمان يسرع، والعالم كله يجد، والساري على مركب العجز لا يلحق، والبيان القاصر نصف الخَرَس، واللغة النقصة ثلاثة ارباع الجهل. . .

«وما قلناه في اللغة والأدب نقوله في العلم والفن، فان ما في العربية منهما لا يعدو في الغالب ان يكون ملخّصات مجهولة النسب، أو مقتبسات قليلة الغناء. . . وما دام الأمر كذلك، فسيظلّ اللسان العربي والعقل العربي محصورَيْن في حدود القرون الوسطى لا يواكبان ركب الحياة ولا يسايران تقدم الفكر. .

«إن العلوم اليوم اوروبية وامريكية ما في ذلك شك، وان الفروق التي باعدت بين الشرق والغرب في مدلول الانسانية الراقية انما يجمعها كلها لفظ العلم. وهذا العلم الذي يسخّر السماوات والأرض للانسان الضعيف، ويذلّل القطعان الملايين للراعي الفرد، سيبقى غريباً عنا ما لم ننقله إلى ملكنا بالتعريب، ونعممه في شعبنا بالنشر، ولا يمكن أن يصلنا به أو يدنينا

منه كثرة المدارس ولا وفرة الطلاب، فان من المحال أن ننقل الأمة كلها الى العلم عن طريق المدرسة، ولكن من الممكن أن ننقل العلم كله الى الأمة عن طريق الترجمة!

«فالترجمة إذن هي الوسيلة الأولى لدفع القصور عن اللغة، وسدّ النقص في الأدب، وكشف الظلام عن الأمة... لذلك أرى أن تنشأ دار للترجمة مستقلة.. يكون لها من جلالة القدر ونباهة الذكر ما للجامعتين... ثم يُختار لها مئتان على الأقل من المترجمين النابغين في لغتهم وفي اللغات الاوروبية الثلاث، ينقلون الآداب الأجنبية نقلاً كاملاً صحيحاً، فلا يدعون علماً من أعلام الأدب والعلم والفن والفلسفة الا نقلوا كتبه ونشروها... فاذا فرغت من ترجمة الموجود فرغت لترجمة المستجدّ، فلا يكون بين ظهور الكتاب في اوروبة وظهوره في مصر الا ريثما يترجم هنا ويطبع... على ان ما ينفق في سبيل هذا العمل العظيم يقل مهما كثر في جانب ما يؤتيه من تجديد اللغة، وتطعيم الأدب، وتعريب العلم، وتعميم الثقافة، وتدعيم النهضة، وتيسير القراءة، وتشجيع القارىء...».

فهل يفيد هذا النداء الذي تفضّلت مجلة الدوحة الغرّاء باعادة نشره.. هل يفيد هذا النداء اليوم بعد ان عجز هذا النداء نفسه أن يجد صداه سنة خمس واربعين؟

أما المصطلحات الطبية فقد بدأ اتحاد الأطباء العرب ثم مجلس وزراء الصحة العرب والمكتب الاقليمي لمنظمة الصحة العالمية مسيرة من منطلق اليد العليا والنهوض بالواجب، بإصدار «المعجم الطبي الموحّد» الذي قامت بإعداده لجنة تضم طائفة من الذين يجمعون بين الاختصاص

الطبي المكين والتمكّن من لغة الضاد، وقد عهد افراد اللجنة الى اضعفهم وأقلّهم شأناً ـ وهو هذا العاجز الذي يتحدث اليكم ـ أن يكون مقرّرها. . وصدرت الطبعة الثالثة من هذا المعجم قبل اشهر وهو يضمّ قرابة خمسة وعشرين ألف مصطلح باللغات العربية والانكليزية والفرنسية، واستغرق إعداده أربع سنين دَأَباً. . ولو انهم اختاروا غيري ليكون المقرر لاستغرق العمل أقلّ من ذلك. . وقد بدأنا اليوم مشروعاً لإيصال عدد الكلمات الى خمس وستين ألفاً ونرجو أن لا يطول العمل في ذلك كثيراً ان شاء الله. وقد كنت أتمنّى ان يتاح لي من الوقت ما يسمح لي بتقديم فكرة عن هذا العمل، ولكنني أمْلَلْتُكُمْ بما يكفي وصَدَّعْتُكمْ.

كلُّ ما أرجوه في خاتمة هذا الحديث أن نضع يدنا دائماً على حقيقة المشكلة وان لا نضيع في متاهات تنأى بنا عن جوهر القضية، فقد رأيت كثيراً ممن يتصدّى لعلاج القضايا أبعد ما يكون عن معرفة حقيقة ما يعالج. . وقد رُوِيَ أن ابراهيم النظّام المعتزلي قال لرجل: «أتعرف فلاناً المجوسي؟ قال: أجل أعرفه! ذاك الذي يحلق وسَطَ رأسه مثل اليهود! فقال النظّام: لا مجوسياً عرفت ولا يهودياً وصفت!».

واسمحوا لي ان استعيد في ختام كلمتي ما قاله الأخ الكريم الأستاذ الدكتور شكري فيصل وهو يرحّب بي عضواً في مجمع دمشق سنة ست وسبعين:

«. . . إنها ظروف قاسية، تطارد فيها رائحة الدم كلَّ وشائج القربى، وتغيب في الساحة العربية العقيدةُ الجامعة، ويُنسى التاريخ المشترك، وتغطي العيونَ غشاواتٌ من الأهواء تحول بينها وبين رؤية المصير الأليم الذي ننزلق فيه أو نوشك!

لم يبق من نسيج الحياة العربية الموحدة الا هذه الخيوط من اللغة، وما تقود اليه وحدة اللغة من وحدة الفكر والتطلّع . .

وحتى هذه اللغة يحتاطها كثيرون من الذين لا يؤمنون بها، والذين يكيدون لها، والذين يجهلون او يتجاهلون الأبعاد البعيدة لآثارها . .

لم يبق إذن في ساحات العمل المثمر ـ في هذه الغمرات ـ إلا هؤلاء الـذين يؤمنـون بلغتهم على انهـا المعبـر الوحيد للايمان بالوجود العربي والحفاظ عليه والدفاع عنه .

المحاضرة الرابعة :

تكنولوجيا اللغة والتراث العربي اللغوي الأصيل

للأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح
(الجزائر)

الثلاثاء : ٢١ شعبان ١٤٠٤هـ - ٢٢ أيار ١٩٨٤م

ليس بخفي على أحد أن الوسائل التقنية، أو ما يسمى الآن في جميع اللغات وبنفس اللفظ التكنولوجيا، قد صار لها وزن عظيم في البحث العلمي ومختلف مجالات تطبيقاته، وهي لا تعد ولا تحصى في أيامنا هذه. ولكن الذي ربما يبدو جديدا بل غريبا على بعض الناس هو وجود ميدان تقني محض في البحوث اللغوية أو ما نسميه نحن بتكنولوجيا اللغة وهو مجال نشأ ضعيفا وجدّ محدود في نهاية القرن التاسع عشر باستعمال المموّاج (الكيموغراف) في دراسة الأصوات اللغوية في اوروبا (على يد العالم الفرنسي روسولو). أما الآن وقد غزت الوسائل التقنية كل ميادين البحث والحياة اليومية فقد ظهر عالم جديد في البحث اللغوي وهو البحث الجماعي المبرمج الذي سخّرت له أعظم الأجهزة الالكترونية كالآلات المحلّلة للكلام والراسمة لذبذباته والآلات التي تركب الكلام الاصطناعي وكالعقول الالكترونية (الرتابات او الحاسبات) التي يذهب بها الآن الباحثون الى أبعد حد في إحصاء المفردات والتراكيب والصيغ وحصرها ورصدها وتجميعها وغير ذلك. ولم يكن الامر على البساطة التي قد تتبادر الى الذهن: فإن استعمال الانسان لهذه الوسائل لم يكن مجرد تسخير الآلة والاستفادة منها إذ لا بد أن يكون لهذا التسخير تأثير في صميم المنهجية بل في كيفية النظر الى موضوع البحث، ولا بد أن يغيّر الشيء الكثير من السلوك والمساير التي تعوّد عليها الباحثون. فإن التكنولوجيا لا تضاعف قوى الباحث فقط بل تجبره دائماً على تطوير منظورة لا بالنسبة الى مناهجه فقط بل حتى في ذات الشيء الذي يبحث فيه. فتطوير الأدوات التي يلجأ اليها لتحليل الواقع، كماً وكيفاً، يؤدي حتماً الى تطوير نظرتنا الى هذا الواقع. وهذا ليس بجديد فقد ثبت ان نمو الدماغ عند الانسان وبالتالي العقل لم يكن ليتم لولا استعماله للآلة.

أمـا من ناحية أخرى فقد صار الآن في امكاننا ان نختبر النظريات اللغوية (كما سنراه في هذا البحث) على محك الصياغة المنطقية الرياضية التي تقتضيها بالضرورة المعالجة الآلية للنصوص اللغوية. هذا فيما يخص النـظريات التي تمس هيكـل اللغـة اي بنيتها الداخلية (او مجموع البنى الصرفية النحوية) أو التي تتجاوزها وتتناول مجاريها في الاستعمال ومدى مردوديتها على حدّ تعبير علماء اللسان في زماننا، أما فيما يخص النظريات الصوتية فقد صار ايضا في الامكان ان نبرهن على صحة ما قاله اللغويون العرب قديما او على عدم صحة بعض ما قالوه. ومن ثم صار في الامكان ايضا ـ وهو اهم من كل هذا ـ أن نواصل العمل الذي ابتدأه هؤلاء العلماء وننـطلق في ذلـك من الأقوال الصحيحة ونتخلص هكذا من التقليد مهما كان، سواء تقليد الغربيين في كل ما يقولونه (وما اكثره في وطننا العربي) أم التقليد الأعمى لكل ما ذهب اليه السابقون من علمائنا، فنحافظ بذلك على أصالة بحوثنا (الأصالة بمفهومها الصحيح أي الأصالة في مقابل التقليد لا في مقابل الحداثة إذ الأصيل هو الذي ليس نسخة لغيره).

١. البحث العلمي في اللغة في وقتنا الحاضر

إن اللغـة اذا نظرنا اليها باعتبارها ظاهرة من ظواهر هذه الدنيا فهي كسـائـر الظواهر الطبيعية قابلة للرصد[١] والتحليل والتقنيين والتعليل. فلا يستغرب أن يدخل في تحليلها وتفسيرها التكميم والمعادلات الرياضية إذ العلم الصحيح يبنى كمـا هو معلوم على الاستقـراء والاختبـار من جهـة واستخدام الوسائل العقلية من جهة أخرى. وقد أشار الى ذلك بالنسبة الى اللغـة العلماء العرب بقولهم: «النحو هو معقول من منقول» (السيوطي، الاقتراح، ص٣. فاللغة نظام من الرموز يتواضع عليها، وهي أيضا استعمال

(١) لا نعني اللغة في ذاتها فحسب بل اللغة ايضا كسلوك للمتكلم والمخاطب.

المستعملين وفي نفس الوقت سلوك خاص يراد به تبليغ الأغراض للغير والتأثير عليهم للإفادة والاستفادة، وهي أيضا أداة لتحليل الواقع ولهذا لا عقل بدون لغة وإن كانت اللغة شرطا لازما لوجود العقل إلا أنها تتجاوزه لأنها تغطي كل مجالات التعبير والتبليغ اي كل الاحوال التي يكون فيها الانسان والأشياء التي تكتنفه. فهي تستجيب بذلك لكل احتياجاته التعبيرية والتبليغية: المعقولة وغير المعقولة الخيالية والعاطفية حتى المستحيل يمكن للانسان أن يعبر عنه بفضل اللغة. وكل ذلك يمكن مشاهدته بانتظام وبكيفية علمية دقيقة ويمكن ان يستخرج من هذه المشاهدة (Observation) العلمية قوانين ثابتة فيما يخص سلامة التعبير وخطأه لفظا ومعنى ومدى تبدل البنى اللغوية افراداً وتركيباً عبر الزمان وعبر البلدان. وتتناول أيضا اللغة من حيث هي أداة تحليلية ويستخرج بذلك منطقها الخاص بها. كما يهتم أيضا الأطباء بالآفات التي تصيب الانسان في آلة نطقه بل وقد تصيب الجهات من دماغه التي تتحكم في مجرى الكلام فهما وإفهاما. فهناك جوانب للغة والسلوك اللغوي تكاد لا تحصى ويعنى بالنظر فيها الآن العلماء الذين هم من آفاق علمية جدّ مختلفة كالفيزيائي أو المهندس الالكتروني المتخصصين في الصوت باعتباره ذبذبة وتموجا ويجب أن يكونا ملمّين بعلوم اللسان، والنفساني او الاجتماعي المتخصصين في دراسة السلوك اللغوي واللغة من الوجهة الاجتماعية والطبيب المتخصص في معالجة آفات الكلام التي أشرنا اليها وغير ذلك.

وقد يتساءل المتسائلون عند سماعهم لهذا الكلام وقد تكون هذه التساؤلات على نوعين: الأول يصدر من الرجل الذي لا يرى في اللغة إلا أداة للاتصال وتحصيل المعلومات فليست عنده إلا مجموعة من المفردات والقواعد والمعايير فلا يرى فيها إلا مشكل كيفية اكتسابها وإتقانها

والتجنب للخطأ النحوي الصرفي. فلا يتصور فيها الجوانب الأخرى ولا كونها ظاهرة تستحق الدراسة العلمية لا لاكتساب المهارة فيها فقط بل لاكتشاف أسرارها كما هو الشأن في غيرها من الظواهر. أما التساؤل الثاني فيصدر عن اللغوي الغربي (ومن يتّبعه الآن من العرب) البعيد عن المشاغل التكنولوجية بل وحتى مشاغل «العلميين»، المتشبع بأقوال الفلسفة اليونانية (ولو لم يشعر بذلك) والمذهب الإيجابي الغربي (Positism) الذي يرفض كل تعليل ولا يرضى إلا بالوصف كمنهج علمي. فهذا لا يتصور أن يكون البحث التطبيقي من العلم في شيء فالعلم عنده هو الذي يصف الظواهر ويحللها لا لغرض بل غايته الوحيدة هو تحصيل المعرفة وتوسيع دائرة المعلوم فقط. أما تدخّل الانسان في مجرى هذه الظواهر للتسلط عليها والاستفادة منها فليس من العلم في شيء. ولا يخفى ما للتراث الفلسفي اليوناني من تأثير على هذا المذهب خصوصا اذا عرفنا ان الفلاسفة اليونانيين كانوا شديدي الازدراء لكل ما يرجع الى صنع اليدين والمعالجة اليدوية بصفة عامة (وهي من صميم التكنولوجيا) ويتركون ذلك لعبيدهم او لأصحاب الصنائع (كأرخيميديوس وديوفانطوس). على ان هذا المذهب يجب ان لا يلتبس بمذهب القائلين بضرورة إجراء بحث علمي اساسي قائم بنفسه غير مندرج في البحث التطبيقي ولا خاضع له. فهذا المذهب هو سليم في نظرنا ما دام يرى ضرورة إجراء بحث آخر تطبيقي حتى ولو كان الاول مفصولا عن المشاكل التي يطرحها البحث التطبيقي لأن حرية الاتجاه العلمي وحرية التحرك شيء أساسي. إنما هذا لا يمنع من شدة ارتباط هذين البحثين اذ الثاني هو حافز قوي جدا للأول.

وبديهي أن التكنولوجيا لا تراد لنفسها إنما هي وسيلة (جبارة حقا ولكنها وسيلة على كل حال) لتحقيق بعض الأعمال التي تتطلب من الانسان

الجهود العظيمة من تلك التي لا يمكن ان تتم الا بتضافر جهود المئات بل الآلاف من الأفراد في عشرات السنين، وذلك بسبب سرعة العمليات التي تقوم بها الحاسبات الالكترونية. كما أن هناك آلات أخرى تمكن الباحث من أن يبصر ما لا يستطيع أن يبصره بالعين المجردة، وذلك كحركات الأعضاء في الجهاز الصوتي بل أن يبصر الصوت نفسه إذ تحوله الى شبح يرى ويمكن أن يحلل بكيفية دقيقة.

ثم إن التكنولوجيا نفسها لا تنحصر فقط في مجرد الاستخدام للآلات المعقدة بل هي أيضا مجموعة من المناهج التحليلية والاستقرائية والرياضية تستلزمها الآلة الالكترونية وسنرى كل ذلك بالتفصيل فيما يلي.

هذا والذي جمع بين «العلميين»[1] (كالفيزيائي والاكتروني) وغير «العلميين» للدراسة النظرية والتطبيقية للغة هو اهتمام بعض هؤلاء وأولئك بظاهرة اللسان البشري وشعورهم بعدم اكتفائهم بما تمده لهم مادتهم حول هذه الظاهرة المعقدة العويصة (وإن كانت أقرب الظواهر الى الانسان) وبحاجتهم المسيسة إذن الى التعاون مع غيرهم للخوض في مثل هذه الدراسة. ولم تكن اللسانيات (Linguistics)[2] الحديثة بغريبة في هذا

(١) هذا المفهوم منقول من الحضارة الغربية فقد تعود الناس ان يميزوا بين الدراسة الأدبية والدراسات العلمية. وقد قلّت وطأة هذا التمييز الآن بسبب ظهور البحوث المتعددة الفنون التي يحتاج فيها الى أكثر من علم.

(٢) أو علم اللسان اي العلم الذي يتناول بالدراسة الموضوعية اللسان البشري من خلال الألسنة الخاصة بكل قوم. وتفضل هذه التسمية على «علم اللغة» لأن لفظة «لغة» وإن كان احد مدلولاتها منذ الجاحظ هو «اللسان» إلا انها اذا أضيف اليها لفظ «علم» فانها تدل حينئذ على مدلول آخر قديم وهو المسموع المنقول من الألفاظ، ولهذا خصصت هذه التسمية في التراث لما يقابل علم النحو وعلم البلاغة وعلم العروض (وكل هذه العلوم تدخل في العلوم اللسانية. انظر مقدمة ابن خلدون ص١٠٥٥ و١٠٥٩ وقارن بعنوان كتاب السيوطي ومحتواه: المزهر في علوم اللغة).

التقارب والتعاون اذ أقبل عليها الكثير من المهندسين وغيرهم يسألون اصحابها عن بنية اللغة ومجاريها. وهكذا تكوّنت الفرق من الباحثين المختلفي الاختصاصات يجمعهم اهتمام واحد وهو الاهتمام بظاهرة اللسان البشري والبحث عن مجاريها وقوانينها واسرارها.

٢. التقنيات الحديثة في البحث اللغوي:

إن للسان البشري جوانب كثيرة كما قلنا: فانه نظام من الرموز الموضوعة لغرض التبليغ وهذه الرموز اذا جرت في الاستعمال فإنها تكون في أكثر الأحيان أصواتا مقطعة أو رموزاً خطية تقوم مقامها (أو غير ذلك كالرموز التي تستعمل في المورس او اشارات البحارة وغيرها). ثم أن هذه الأصوات ظاهرة فيزيائية، وإحداثها في الجهاز الصوتي وإدراكها بالسمع ظاهرة فيزيولوجية. ثم إن الأصوات المتسلسلة في مدرج الكلام تدل على معان وأغراض، وللناطق بها سلوك خاص في ذلك، فهذا جانب آخر يهتم به العالم النفساني زيادة على اللغوي. هذا ومن المعروف أن لكل لسان نظاما خاصا به من حيث الأصوات والمعاني التي تدل عليها والقوانين النحوية الصرفية التي تنتظمها. وتختلف الألسنة من بلد الى آخر ومن عصر الى آخر. فهذا يهتم به العالم الاجتماعي والمؤرخ للغات. فكل واحد من هذه الجوانب يمكن أن تخصص له دراسة على حدة ويستعان في ذلك بمناهج وتقنيات خاصة، إلا أن هذه الدراسات يحتاج القائمون بكل واحدة منها أن يكونوا على علم (واسع) بما يجري من البحوث وما تم من اكتشاف وما ظهر من أفكار واتجاهات في كل الدراسات الأخرى التي تهتم بظاهرة اللسان. وإلا فلربما دار في حلقة مفرغة من المعلومات التي لا تتجدد، وأغلق على نفسه في مجموعة من الاعتقادات والمذاهب الصماء.

١ . البحوث التي تتناول الجانب الصوتي والإحدائي للكلام:

هو الجانب الذي تسابق فيه الباحثون منذ بداية القرن العشرين الى استخدام الآلات فيه. فمن المعروف ان الصوت هو اضطراب اهتزازي للهواء (بل ولكل مادة) او كما قال علماؤنا قديما إنه تموّج الهواء او كيفية تعرض للهواء عند التموج» (ابن سينا **أسباب حدوث الحروف**، ٥٦ ـ ٥٨). ويمكن أن ترسم هذه التموجات أو الاهتزازات (أو الذبذبات) وهي تتعاقب في مدرج الكلام بأنواع كثيرة من الآلات منها المموّاج السابق الذكر (Kymograph) ، وهو عبارة عن اسطوانة تدور على نفسها، وعدد من اللاقطات يجعلها الناطق على فمه وأنفه وموضع حنجرته فتنتقل الاهتزازات من اللاقطات الى ريشات ترسم تلك الاهتزازات على الاسطوانة. وقد توصلوا الآن الى تبديل الريشات والاسطوانة بالاشعة الكاثودية في آلة نسميها بالمهزاز (Oscillograph) وفائدتها عظيمة إذ لا يحدث احتكاك في رسم الذبذبات فتكون بذلك الرسوم أدقّ بكثير. ويمكّن المموّاج والمهزاز من تحليل الكلام الى مكوّناته الصوتية وتتبّع تحولاتها في أثناء حدوثها وفي آن واحد أي تمكننا من أن نشاهد تحوّلات الصوت الحنجري، مع تحولات صوت الخياشيم والصوت الصادر من الفم وكذلك ضغط الهواء، كل ذلك في آن واحد فنستطيع ان نتبيّن بدقة متناهية اقتران هذه الأحداث الصوتية بعضها مع بعض في حدوثها (أو عدم اقترانها) وكذلك التفاعل الذي يحدث بسبب تأثير المخارج بعضها على بعض اثناء تسلسلها (coarticulation) وهذا مهم جدا لأنه بذلك يمكن أن يفسّر على أساس اختباري محض ظواهر التقريب الصوتي (Assimilation) والادغام والإبدال والإعلال على حد تعبير علمائنا. وتختص بعض هذه الآلات المحللة باظهار التغيرات النغمية وحدها على الشاشة عند حدوث الكلام وأحيانا مع تغيرات الشدة

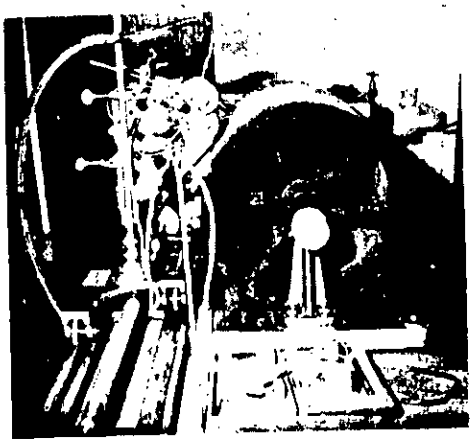

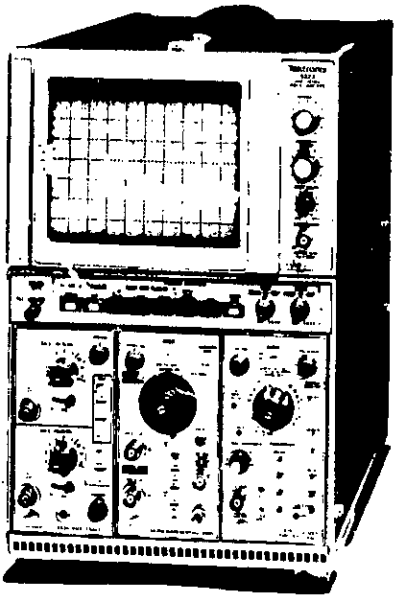

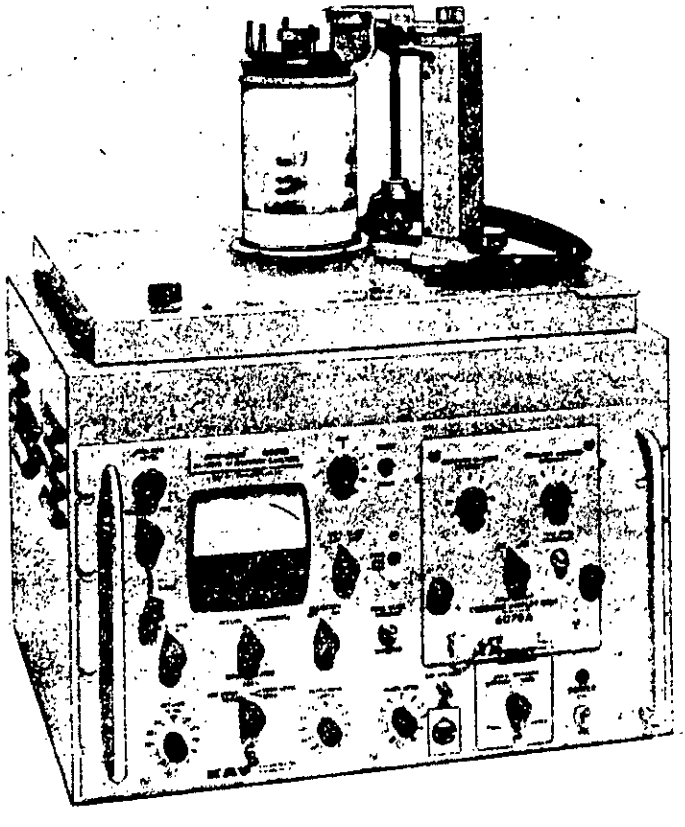

(Intensity) وهذا كالـ(Visi-pitch)وهو مفيد جداً في تعليم اللغات التي تكون تغيرات النغمات في الكلام فيها ذات أهمية كبيرة (انظر الصورة رقم ١ و٢).

وهناك جهاز تحليلي آخر اخترعه مهندسو شركة بيل الامريكية خلال الحرب العالمية الثانية يسمى بالمطياف (أو المشباح Sonagraph) . وهو من أبدع ما اخترع في هذا الميدان إذ به تقدمت العلوم الصوتية ايما تقدم ـ حتى ما اخترع في هذا الميدان اذ به تقدمت العلوم الصوتية أيما تقدم ـ حتى توصلوا الآن بفضله الى اصطناع الكلام ـ وما من مخبر صوتي في العالم الآن الا وفيه هذا النوع من الآلات، ويتألف المطياف من ميكروفون يلتقط الصوت ويسجله في اسطوانة ممغنطة ويمر الصوت المسجل في راشح شريطه الصوتي يقع بين ٨٠ و٨٠٠٠ هرتس وبه ينحل الى عناصره الترددية[١] وترسم هذه العناصر على أنبوبة مغلّفة بورق خاص تدور على نفسها فيبين بهذا الدوران التغيرات الترددية ـ وكذلك تغيرات الشدة (Intensity) ومجموعها يكوّن طيفا صوتيا[٢] للكلام المنطوق (انظر الصورة رقم ١). وتظهر في هذه الصورة شرائط واسعة تمثل المصوتات (Vowels) وتتكون كل شريطة من مناطق منضودة مشبعة السواد وهي المناطق من الترددات المرتفعة الشدة وكل واحدة منها تعتبر مكوّنا لجرس المصوت واطلقنا عليها اسم البواني (ج بانية) اي الFormants .

وبفضل المطياف والتحليلات للطيفيات الكثيرة تمكن الباحثون من ضبط بعض القوانين الفيزيائية للصوت اللغوي وعلى أساسها استطاعوا ان

---

(١) التردد هو عدد الذبذبات التي تحدث في الثانية الزمانية (Frequency) وكل صوت يتميز عن غيره بهذا التردد (كلما ارتفع صار الصوت اكثر حدّة).

(٢) Spectrogramme أو Sonagramme.

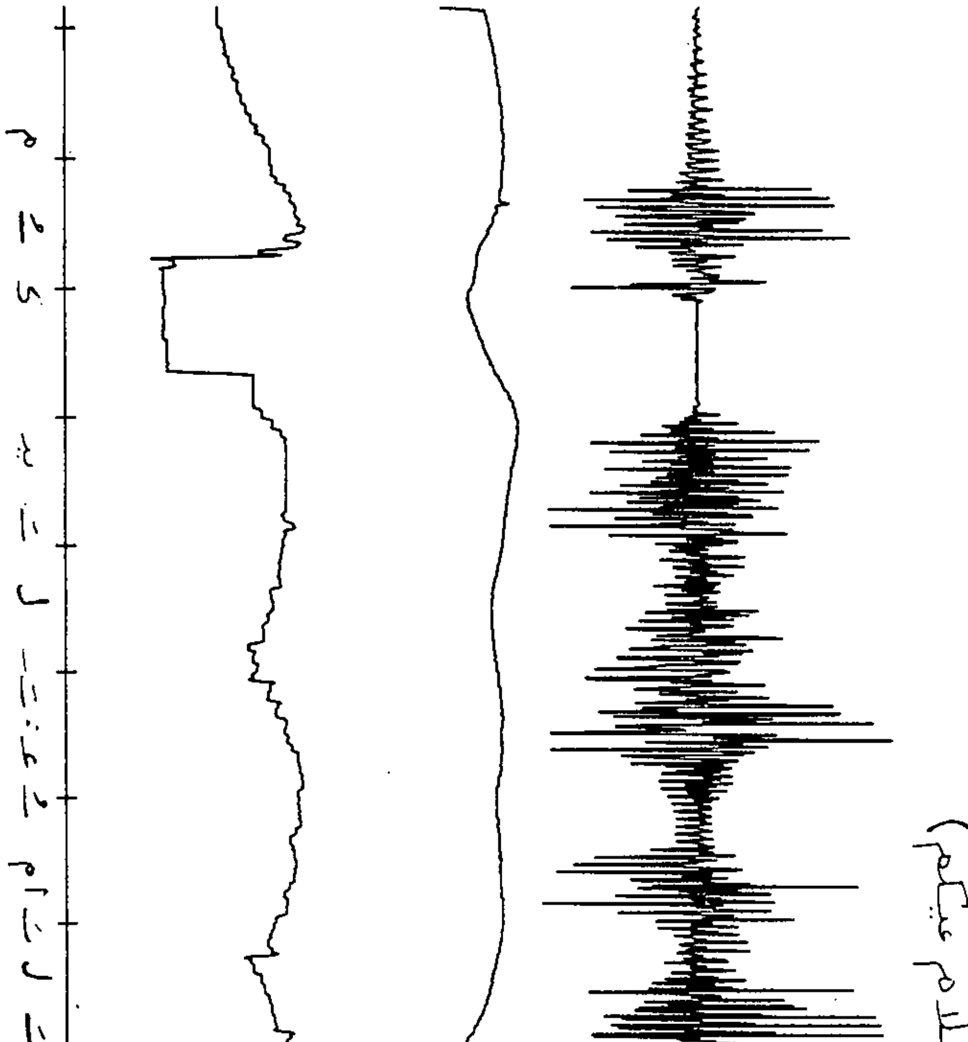

صورة (٢)

يعكسوا عملية التحليل التي يقوم بها المطياف فتوصلوا بذلك الى التركيب الاصطناعي للكلام اي التركيب لعناصر الصوت الانساني نرسمها بالاعتماد على القوانين المذكورة للوصول الى كلام اصطناعي لم ينطق به شخص معيّن. وهذا الذي يسميه الغربيون بـ«Speech Synthesis». وصنعوا لذلك آلة تقوم بتركيب العناصر الاصلية لاصوات الكلام من صوت حنجلي (أو النغمة الاساسية) والغنة وأصوات الاحتكاك أو الإنفجار الخاصة بالحروف الصوامت وغير ذلك. وأشهر هذه الآلات هي الـ«Play Back» الذي اخترعه مختبر هاسكنس بامريكا[1] فهي عبارة عن جهاز يستطيع ان «يقرأ» الطيفيات ويتم ذلك باعادة رسم الطيفية رسما مبسطا وإسقاط حزمة من الأنوار المتوازية على الرسم (ويستعمل فيها خلية كهروضوئية لتحويل الترددات الضوئية الى ترددات كهروبائية ومن ثم صوتية).

أما في السنوات الأخيرة فقد أصبح التركيب الاصطناعي للكلام شيئاً عادياً وأحسن الأجهزة من حيث جودة الصوت هي آلة إيفا III التي اخترعها فانت (G. Fant) السويدي، وهو جهاز يركب البواني (Formants) التي يرسمها الباحث على ورق بحبر فضي (حتى يمر عليه التيار الكهربائي) (انظر الصورة ٣ و ٤).

ولم يكتف الباحثون بالتركيب الاصطناعي للكلام بل يحاولون ان تدرك الآلة نفسها الكلام أي أن تعي الأصوات اللغوية وتشخّص كل حرف من الكلمة التي ينطق بها الناطق (Speech Recognition) ومن ثم أن تستجيب لتعليمات يعطيها إياها المتكلم بلسانه لا بواسطة ملمس كملمس الآلات الراقنة توصل اليها الرموز التي تفهمها كما هو الشأن الى الآن في

---

(١) وكان مسؤوله آنذاك هو F. Cooper.

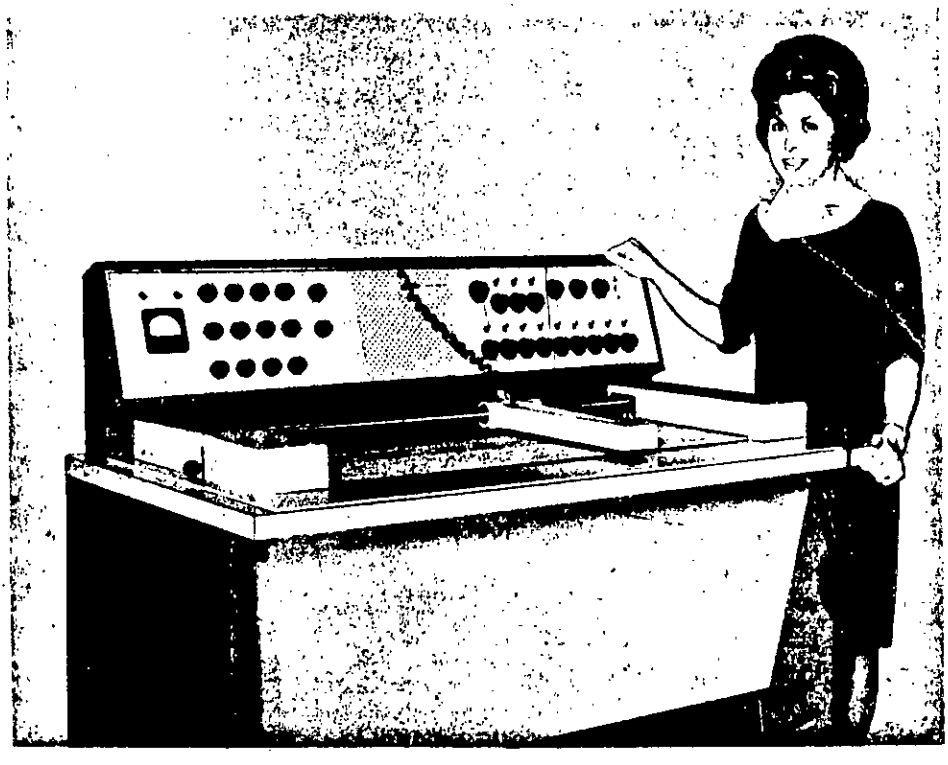

صورة (٣)

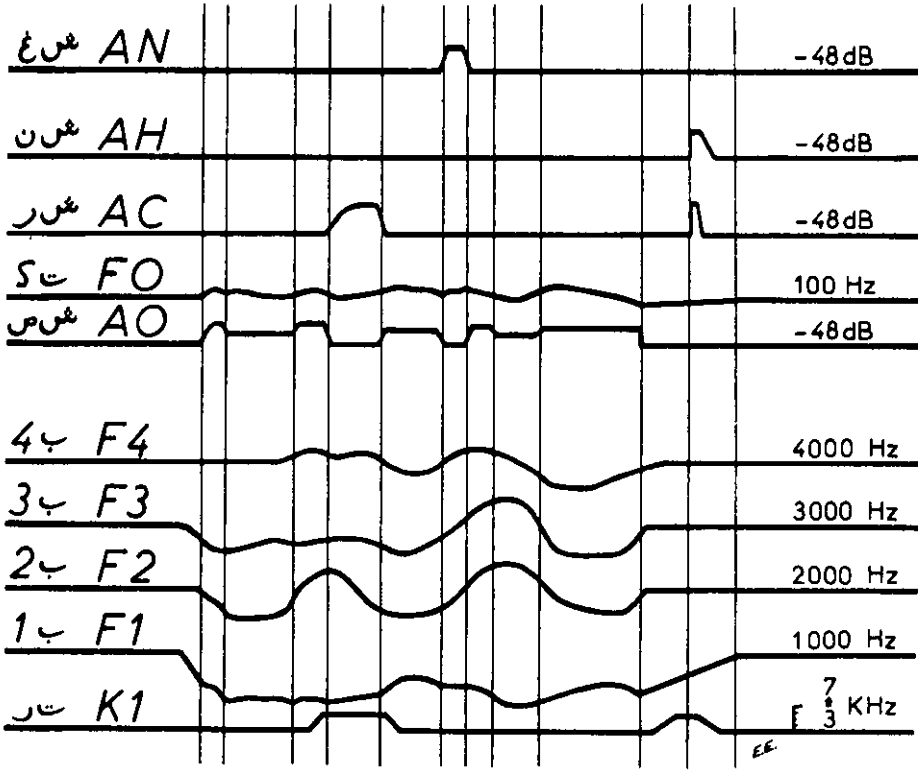

إحداثية للفظة "اللسانيات"

طيفية لنفس اللفظة

الحوار بين الانسان والحاسبات الالكترونية. الا أن عملية التعرف او التشخيص الأوتوماتيكي للكلام امر صعب جداً فان كانت عملية تركيب الكلام الاصطناعي على جانب كبير من السهولة فذلك لانها مجرد «قراءة» للطيفيات أي مجرد تركيب لعناصر صوتية تعرف مسبقاً، اما استكشاف الآلة لأصوات الكلام فهذا ليس له مقابل انما هو مثل ادراك الانسان لما يسمعه وهو من أشد الظواهر غموضاً الى يومنا هذا. فما دام الباحث لم يضبط بعد القوانين الفيزيولوجية الكاملة للادراك السمعي فإنه سيبقى عاجزاً عن الاتيان بآلة تستطيع القيام بذلك. وعلى الرغم من كل هذا فإن بعض الباحثين استطاعوا ان يجعلوا الآلة قادرة على تشخيص بعض الكلمات المنفردة بشرط ان تكون صادرة من شخص واحد وان تتعود على ادراك حروفه وهذا لا يتجاوز المائة كلمة فقط. ولا يزال البحث جاريا في هذا الميدان وهو يخطو الخطوات العظيمة خصوصاً وأن استغلال هذه الاجهزة المدركة للكلام في الميدان التجاري والعسكري سيوفر قوة وسيادة عظيمتين لمستفيديها (وهناك تنافس شرس بين الشركات والدول العظمى ولا سيما الولايات المتحدة واليابان).

ولا بدّ ههنا أن نشير الى أن جميع البحوث التي تجري في هذا الميدان تعتمد الآن على العقول الالكترونية سواء كان التركيب للكلام أم الادراك الآلي له وذلك لعظمة قدرتها على تنفيذ العمليات المعقدة (الملايين من العمليات في الجزء المتناهي الصغر من الثانية الزمانية!).

أما ميادين استغلال التركيب والادراك الاصطناعي للكلام في حياة الانسان فكثير جدا وأهمها هي الحوار المنطوق (لا المكتوب) الذي يمكن ان يتم بين العقل الالكتروني والانسان وهكذا يستطيع الباحث أن يخاطب

الآلة بلسانه وأن يمدها بالمعلومات مباشرة باستعمال ميكروفون فقط. وليس ذلك مقصورا على الباحث بل يمكن لأي فرد في بعض البلدان ان يسأل بالهاتف مصلحة الاستعلامات فتجيبه الآلة بكلام إصطناعي. وكذلك هو الامر بالنسبة الى الادراك الاصطناعي فان بذلك يستطيع العامل ان يعطي تعليمات شفاهية لبعض الآلات وكذا المصابون بشلل النقل (مثل السيارة) بإعطائها التعليمات الصوتية المناسبة. وتجرى بحوثٌ الآن لإفادة المكفوفين بهذه الاشياء وتعويض أبصارهم بأسماعهم وبحوث أخرى في استعمال هذه الآلات الناطقة المدركة في تعليم اللغات.

هذا يخص اهم الآلات في تحليل الكلام وتركيبه وادراكه وتوجد آلات أخرى كثيرة للفحص الفيزيولوجي ولرؤية ما يحدث في داخل الحنجرة وداخل تجاويف الجهاز الصوتي الانساني كمجواف الحنجرة (Laryngoscope) والسينما المجوافية وهي تمكننا بالاشعة السينية ان نبصر ما يحدث في داخل هذه التجاويف من الحركات العضوية المحدثة للأصوات اللغوية[1] وكذلك الآلات التي تقيس وترسم حركات الأوتار الصوتية وسكناتها وخفقاتها (Electroglottograph) والتي تقيس ضغط الهواء (Maometre) أو الطاقة العضلية في الحركة العضوية (Electromyograph).

وقد استعملنا في مخبرنا في معهد العلوم اللسانية بجامعة الجزائر آلة لقياس تمدد الجلدة المخاطية عند نطقنا بالحروف المهموسة والمجهورة. وسنرى ذلك فيما بعد.

---

(١)انظر صورة رقم ٥.

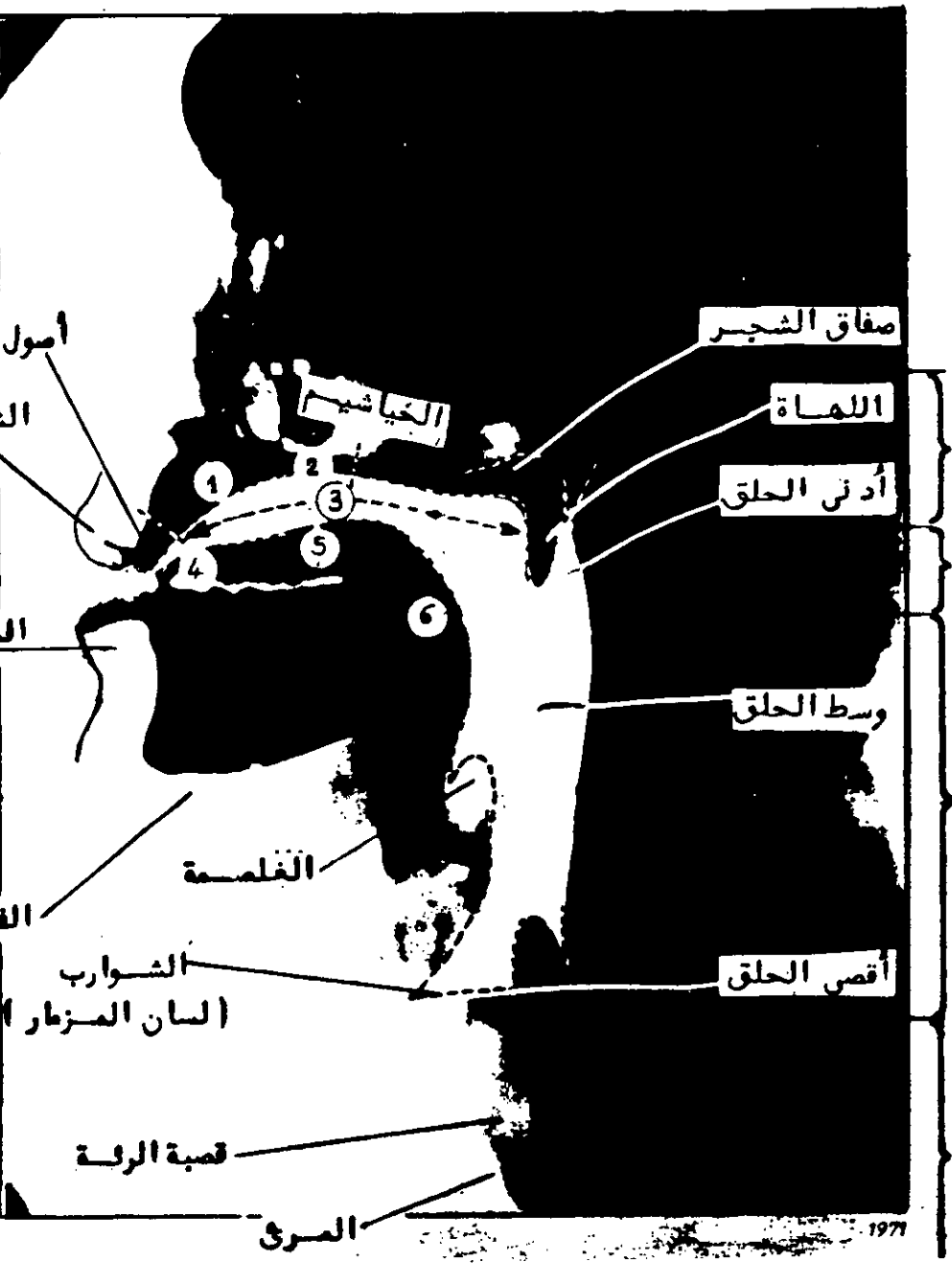
صفاق الشجر
اللماة
أدنى الحلق
وسط الحلق
أقصى الحلق
الغلصمة
الشوارب
(لسان المزمار)
قصبة الرئة
المرئ
الخياشيم
1
2
3
4
5
6
1971

٢. البحوث التي تتناول الجانب الإفرادي والتركيبي للسان :

سبق أن قلنا بأن الرتابات (الحاسبات الالكترونية) او المعلومات[١] قد غزت الآن كل ميادين البحث الصوتي. فأما الجانب الذي نتطرق اليه هنا وهو المجموع من المفردات المسموعة من جهة والتركيب أو أبنية الكلام من جهة أخرى فلم تدخل التكنولوجيا فيهما إلا يوم ظهرت الحاسبات. وكانت في أول أمرها ميكانيكية فلم تستغل الا في ميدان احصاء المفردات الواردة في النصوص او المدوّنات، ولما صارت الكترونية وبالتالي سريعة العمل سرعة الضوء او تكاد فعندئذ استعملت لدراسة الصيغ والأبنية وغير ذلك من الجوانب الصورية للغة.

أما حصر المفردات التي ترد في النص الواحد فقد اهتم بذلك اللغويون عندما ارادوا ان يدرسوا تواتر الكلمات وأهمية كل واحدة منها بالنسبة للموضوع المطروق في النص الادبي او الخطب السياسية (واهتم بها خاصة علماء الاجتماع والاقتصاد والعلوم السياسية) حتى يستخرجوا المعاني الاساسية من النص ومن ثم الاغراض الحقيقية لصاحب هذا النص. ثم ان الحواسب عندما صارت عظيمة القوة (من حيث السرعة وسعة استيعابها للمعطيات) ظهرت فكرة البنوك اللغوية او بنوك المعطيات اللغوية او الاصطلاحية. حصل هذا في أعلى مستوى من السلطة السياسية في البلدان الغربية فأنجزت المجموعة الاوروبية، مثلا، بنك المصطلحات وقامت بتخزين البنك بأجمعه في ذاكرة الرتابات فصار استحضار المعلومات امرا آليا سهل المنال بحيث يكفي ان تضرب الطلبات في ملمس الرتاب فتظهر على الشاشة كل المعلومات المطلوبة. وتجدر الاشارة الى ان معهدنا يقوم منذ اكثر من عشر سنوات بادخال أهم الآثار الادبية والعلمية العربية في

---

(١) المعلوميات هو علم المعالجة الآلية للمعلومات (Informatics).

ذاكـرة الـرتـاب وذلـك لانجاز ما اسميناه بـ«الذخيرة اللغوية العربية» وهو القـامـوس الجـامـع للألفاظ العربية المستعملة او التي استعملت بالفعل ووردت في النصوص القديمة و/أو الحديثة (Thesaurus of the Arabic Language) . وقـد تم تخـزين قسط كبير من الشعـر الجـاهلي والشعـر الاسـلامي وسنشـرع في الايام المقبلة في تخـزين التحف الادبية النثرية ككتب الجاحظ وابن المقفع وكذلك الكتب العلمية التي ظهرت في عهد هذين الرجلين وكتاب سيبويه وغير ذلك. وسنأتي على جل ما طبع من الآثار الفكرية العربية حتى نصل الى العصر الحديث وسوف تخزن أيضاً عينة كبيرة جداً (تعـد بمـلايير الكلمـات) ممـا يستعمـل اليوم في الاذاعـة والتلفـزة والصحف والمجلات وغيرها. والمقصود من هذه الذخيرة هو ان تكون بنكاً مركزياً للمعلومات اللغوية بحيث يمكن لاي باحث في اي مكان من الوطن العـربي ان يسـأل عن وجود لفظ للدلالة على معنى معين في الاستعمال الحقيقي واين ورد هذا اللفظ اي في اي نص ولأي غرض وكم مرة وما هي مختلف سياقاته وهل يدل على معان اخرى غير هذا ومن استعمله بالفعل من الكتاب او الأدباء أو العلماء ثم كيف تطور معناه عبر العصور وغير ذلك من المعلومات المفيدة، هذا وقد يحتاج البيطار مثلا الى لفظ عربي ليطلقه على مرض أو عيب أو أي حلية تخص حيواناً معيناً فما عليه إلّا أن يضرب سؤاله بدقة على ملمس الحاسب ولا تمضي بضع ثواني (لا دقايق) حتى تظهر على الشاشة كل الألفاظ التي تدل على هذا المعنى وسياقاتها الهامة مع ذكـر المـراجـع وغير ذلـك من المعلومات. فالفائدة كما نرى عظيمة وخصوصاً بالنسبة لوضع المصطلحات فإننا كثيرا ما نعاني الآن ومنذ القديم من عدم وجود مرجع جامعٍ للمعطيات اللغوية المستعملة بسياقاتها يتصف اولاً بالشمـولية المـطلقـة وثانياً بسهولة الوصول الى المطلوب: فلن نجد

أحسن من الرتاب الذي يستطيع ان يحوي في ذاكرته الملايير من المعطيات (بل اكثر من ذلك فيما بلغنا عن أحدث الاجهزة) وأن تستحضر أية معلومة فيه بسرعة الالكترون.

هذا وقد أنجز الرصيد اللغوي[١] المغربي بفضل استعمال القائمين بإنجازه للرتاب[٢] إذ لا يمكن أن ترتب المفردات التي وردت في جميع النصوص من جميع البلدان المشاركة، الترتيبات المتعددة بسياقاتها التي تعد بالآلاف ولا أن يحصى تواتر كل واحدة منها إلا باللجوء الى الحاسبات الالكترونية.

وأما فيما يخص البحث في الصيغ والأبنية بالاعتماد على المعلوميات (= علم المعالجة الآلية للمعلومات كما قلنا أي باستعمال الرتابات) فإنه أكثر تشويقاً مما سبق ذكره وهو أيضاً أصعب وأخطر في الوقت نفسه. وذلك لأن اللغة هي قبل كل شيء نحو وتصاريف أي قواعد يصاغ عليه الكلام ويتصرف بها فيه بتحويل لفظ الى لفظ آخر حسب ما تقتضيه أغراض المتكلم. فأوفق آلة لدراسة هذه الأشياء هي الرتاب لانها تقوم بعمليات ترتيبية من نوع العمليات التحويلية: ترتيب معلوم بحيث يتوصل به الى مجهول: فالرتاب يتلقى جملة من المعطيات وجملة من القواعد لإجراء العمل فيطلب منه الباحث ان يقوم بعمل للوصول الى نتيجة معينة وذلك

---

(١) يهدف هذا المشروع كما حدده أصحابه الى «ضبط مجموعة من المفردات والتراكيب العربية الفصيحة التي يحتاج اليها التلميذ في مرحلة التعليم الابتدائي حتى يتسنى له التعبير عن الاغراض والمعاني العادية التي تجرى في التخاطب اليومي من ناحية ومن ناحية اخرى التعبير عن المفاهيم الحضارية والعلمية الاساسية التي يجب ان يتعلمها في هذه المرحلة.

(٢) وقد تبنت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مثل هذا المشروع لتعميمه على البلدان العربية كلها.

بإعطائه عدد من التعليمات بلغة خاصة يفهمها ومرتبة الترتيب الزم ومجموع هذه التعليمات المرتبة هو المسمى بالبرنامج .

هذا ويستطيع الرتاب[١] ببرنامج خاص أن يستخرج بكيفية آلية كل صيغ الكلمات التي توجد في نص من النصوص وفي نفس الوقت المواد الأصلية التي صيغت فيها . والأهم هنا هو البرنامج فإنه يحتاج ـ حتى تضمن النتيجة ـ الى تحليل علمي دقيق لأبنية اللغة ثم الى صياغة هذا التحليل صياغة رياضية يمكن استثمارها في البرمجة . وتجدر الإشارة هنا الى أنه لولا الطريقة التحليلية التي وضعها النحويون العرب (التمثيل للصيغة بالميزان الصرفي مثلا) لما استطاع الباحثون المبرمجون القيام بهذا العمل .

ويحاول الآن فريق من الباحثين في معهد العلوم اللسانية بالجزائر أن يصوغوا، الصياغة الرياضية اللازمة، النظرية النحوية العربية الخاصة بالتراكيب حتى يمكّنوا الرتاب من التحليل الآلي السريع لكل التراكيب التي ترد في نص من النصوص والفائدة هنا ستكون عظيمة جداً لأنه بذلك سيستطيع الرتاب ان يقوم بترجمة آلية للنصوص من اللغات الأجنبية الى العربية . إلا أن هذا العمل هو من أصعب الأعمال حتى ظن بعض الناس منذ الستينات الأخيرة أن الترجمة الآلية ستبقى بعيدة المنال بل متعذرة الى أمد بعيد خصوصا وان المسألة ليست متوقفة فقط على الجانب النحوي الصرفي للغات المنقول منها واليها بل تتجاوزها الى المسائل الدلالية المعنوية (و«منطق الخطابة») وهو ميدان وعر جداً لم يوفق فيه الباحثون بعد في اكتشاف النهج الأنسب على مثل ما هو حاصل في الميدان اللفظي

(١) عرفنا الآن ما هو السر في تسميته بالرتاب (فالحساب هو جزء فقط مما يستطيع ان يقوم به) .

الصـوري للسان. إلا أنه على الرغم مما قيل بهذا الصدد فإن الكثير من الباحثين سائرون مثابرون اذ يعتقدون ان عالم المعاني وإن كان غير متناه الأطراف إلا أنه يمكن للإنسان نفسه أن يحيط به ما دام تختص كل عملية خطابية بجـزء ضيق جدا من العـالم الـلامتنـاهي من المعـاني ويهتـدي المخاطب الى ما يقصده المتكلم بالضبط بإمارات خاصة تحددها وتخصص بذلك المعاني.

٣ ـ التراث العلمي اللغوي الأصيل والتكنولوجيا

١. التراث العلمي العربي الأصيل

كاد يجمع العرب في وقتنا الحاضر على أن المحافظة على التراث العلمي العـربي والرجوع إليه أمر ضروري لا حبّاً في القديم في ذاته ولا للمحافظة من أجل المجافظة فهذا وإن كان كثيرا في أيامنا إلا أنه قد قلّ أنصـاره بتعميم التعليم وانفتاح العقول على العالم. على أن اكثر الناس يجعلون التراث الفكري العربي واحداً فما دام هو تراثا وركناً إذن من أركان هويتنا فكله حسن لا كلام فيه. وهنا يكمن الخطر! اذ التراث الذي يتّصف بالإبداع وبالتالي بالأصالة غير التراث الذي يسوده التقليد وبالتالي الجمود الفكري فالأول لا سبيل الى وجوده في الطوم الإنسانية واللغوية خاصة **إلا في القرون الأربعة الأولى بعد الهجرة**. وأما التقليد فقد بدأت تلوح بوادره في القرن الثالث الهجري ثم صار هو السائد بعد القرن السادس والسابع (اذا استثنينا بعض العباقرة الشواذ مثل السهيلي والرضى الاسترابادي). وكل يعرف ويعترف ان الفكر العربي وخصوصا في العلوم الاسلامية دخل شيئاً فشيئاً في سبات عميق ابتداء من هذه الفترة (باستثناء بعض الفترات وهي شاذة مهمـا كان) **ومع ذلك فسواء عندهم** ان يرجع الى اقوال الخليل بن أحمد واتباعه أم الى ابن مالك وأبى البركات ابن الأنباري: كل هذا تراث!

بل ربما كان استئناسهم بشروح الألفية وحواشيها أكثر منه بشروح كتاب سيبويه (التي ما تزال كلها مخطوطة). ولم تغير الوسائل المحدثة كالمطبعة شيئا إذ الذي طبع مراراً هي شروح الألفية وشروح الأجرومية وشروح التلخيص في البلاغة. أما طبع كتاب سيبويه فأمر شاذ والدليل على ذلك هو عدم إقبال الأساتذة والطلبة عليه منذ صدوره (ولم يقرر تدريسه في أي مكان على ما نعلم). ولهذا تفسير واحد فقط في نظرنا: هو استمرار عهد التقليد بدليل استئناس اكثر الناس بما ظهر في ذلك العهد وتركهم للآثار البديعة الاولى كما تركها الناس بعد مضي القرن الخامس. وعذرهم الوحيد في ذلك هو استغلاق أقوال العلماء الاولين على أكثر أهل زماننا بعد أن أستغلقت أيضا على من عاش بعد القرن الخامس إلا من شذ. وسبب ذلك يدرك بسهولة وهو استبدال مفاهيم نشيطة إجرائية بمفاهيم أخرى جامدة تأملية مع بقاء نفس الألفاظ التي تدل عليها في الغالب[1].

والذي زاد الطين بلة هو أن بعض معاصرينا ـ ممن حظي بالاطلاع على ما ظهر في الغرب من آراء ونظريات جديدة (أو ما يبدو أنه جديد) في الظواهر اللغوية وما اليها والدراسات الجديدة التي تنتمي الى ما أسموه بال Linguistics أرادوا أن يطبقوا على العربية هذه النظريات. واتفق أن كانت «المودة» آنذاك هو المذهب الوصفي أي النزعة التي لا تريد ان تتجاوز الوصف للظواهر وتتمسك بالظاهر وتنبذ كل تعليل وتقدير. ثم إنها لا ترمي الى تقويم الألسنة (فليست «معيارية» على حدّ تعبير أصحابها) بل تكتفي بوصف اللغة بتشخيص عناصرها واحلالها محلها من النظام (التقابلي فقط)

---

(١) فأكثر المصطلحات اللغوية لم يتغير لفظها انما الذي تغير هو محتواها: وذلك مثل لفظة «كلمة» و«حرف» و«المبنى والمبنى عليه» و«القياس» و«الكثير في الباب» و«الكثير في نفسه» وغير ذلك مما يوجد في كتاب سيبويه بمعنى غير المعنى الذي عند المتأخرين (انظر في ذلك كتابنا: علم اللسان العربي وعلم اللسان العام = **Linguistique arabe et linguistique generale**)

الذي تندرج فيه. وينطلق أصحابها دائماً من الكلام المسموع. فهذه هي نظرة البنوية (Structuralism) التي مضى عليها وقت. وقد ظهرت بعد ذلك مدارس تعتقد أن «المعيار» اللغوي وما يتعلق بذلك من تمسك الناطق بما يستحسنه أكثر من أن ينطق بلغته وترك ما يتركونه هو أيضا ظاهرة وواقع يجب الاعتداد به في الوصف ثم ان الوصف نفسه غير كاف لتفسير الكثير من مجاري اللغة. واشهر من ذهب هذا المذهب هو نوام تشومسكي زعيم المدرسة المسماة بـ«النحو التوليدي والتحويلي»[١] وهو الذي دعا الى قلب الأمر في التحليل العلمي للغات فأعطى الأولوية للطريقة الإفتراضية الإستنتاجية.

وقد تشبع بعضهم بهذه الافكار (وفيها ككل الآراء والمذاهب ما هو سليم وما هو بعيد عن الحقيقة). فنقلوا الخلافات التي كانت قائمة في أوساط اللغويين الغربيين الى البلدان العربية ـ ولا سيما في بلدان المغرب العربي ـ فاستبدلوا تقليداً بتقليد! اذ حاولوا ان يطبقوا هكذا جزافا وبدون تمحيص سابق النظريات الغربية كأنها حقائق مسلمة تنطبق على كل لغة وليتهم فعلوا ذلك للاختبار وبينوا بعد الاختبار مدى ملاءمتها أو عدم ملاءمتها للعربية وبالتالي قدرتها على استيعاب الظواهر المختلفة. ونبذوا في الوقت نفسه النحو والصرف بدعوى انهما «معياريان» أو على أنهما بعيدان عن التصور العلمي للغة الذي ظهر في زماننا. ويا ليتهم وقفوا عند هذا الحد، فانهم لم يكتفوا بذلك بل تهجموا على النحويين المبدعين وتعسفوا في انتقادهم لهم اذ اسقطوا على اقوالهم النظريات الغربية ولم يحاولوا ان يتفهموها في ذاتها وبدون ان يسلطوا عليها المفاهيم والتصورات التي وجدوها في دراساتهم للـ «Linguistics» فكانت هذه المفاهيم المرجع في

---

(١) Generative and transformational Grammar

تقويم التصورات العربية. وكل ما لم يجدوه في النظريات الغربية استصغروه وقلّلوا من قيمته بل حكموا عليه بالبدائية او التخيّل الخاطىء وذلك مثل مفهوم الحرف (وحرف المد بالخصوص) وكذلك الحركة والسكون وتساءلوا لماذا لم يعرف النحاة العرب الفونيم ثم المقطع والمصوتات القصيرة والطويلة وغير ذلك من المفاهيم التي يرجع غالبها الى التراث اليوناني[1] ولماذا جاؤوا بمفهوم الإبتداء والمبتدأ وفرقوا بينه وبين الفاعل مع ان كل واحد منها« Subject ».

إن كل هذا تشويه للنحو العربي وحط من قيمته، فإن كان بعض من تقدم من المستشرقين يفعل مثل هذا فيجعل نظرية الغربيين هي الأصل الذي يجب أن يرد إليه كل شيء فما هو عذر هؤلاء الذين يتصفحون كتاب سيبويه وعلى عيونهم نظارات صنعت في معمل البنويين الظاهريين أو المستشرقين الذين يرجعون كل شيء الى المفاهيم اليونانية؟ وكان من الممكن جدا أن يتجنبوا هذا التعسف بالبحث أولا عن أصول المفاهيم الغربية للتمييز بين ما هو جديد حقا وما هو قديم جداً لم تأت به العلوم ولا التقنيات الحديثة بل توارثه الناس جيلاً بعد جيل وقد بيّن العلماء بعد ذلك انه تصور وليس بحقيقة ملموسة مجمع على صحتها. ثم البحث عما كان يقصده العلماء العرب بالفعل في أقوالهم التي تركوها لنا في كتبهم مثل كتاب سيبويه وشروحه. وكان من الممكن ان يستخلصوا أغراضهم الحقيقية ومن ثم نظرياتهم بالاعتماد على طريقة علمية دقيقة في استخراج المقاصد وتفهم النصوص وهي الطريقة التي تتحرى السياقات للفظ الواحد (كل السياقات التي توجد في الكتاب الواحد) والمقارنة بينها والاعتماد في ذلك على قوانين علم المعاني (ويسميه بعضهم علم الدلالة: Semantics) وتستخلص بذلك المعاني التي قصدها المؤلف بالفعل لا المعاني التي قد

(١) ويجهل هؤلاء ذلك فيظن ان المقطع هو أحدث ما توصل اليه العلماء في وقتنا الحاضر.

يجدها الباحث في القواميس. ولهذا قلنا بأنه لا يفسر كتاب سيبويه الا كتاب سيبويه! أما شروحه فتأتي بعد هذه المرحلة اذ قد يخطيء المفسر الغرض ويصيب.

اما ما استطاعت التكنولوجيا الحديثة أن تؤكده من أقوال هؤلاء العلماء الفطاحل فكثير وسنتناول بعضها لضيق المكان.

مفهوم الحركة ومفهوم السكون[١].

قال الرماني: «لا يتكلم بحرف واحد حتى يوصل بغيره فالوصل هو الاصل في الكلام[٢]»يعني الرماني أن الحرف لا يمكن أن يحدث الا موصولاً مع غيره والوصل هنا يعني الادراج أي الاحتواء مع التنقل. فالحرف لا يحدث الا في مدرج صوتي أي في سياق متسلسل من الحروف. والحركة هي التي «تمكن من إخراج الحرف» و «تحرك الحرف اقتضى الخروج منه الى حرف آخر» [٣]. ف«الوصل يقتضي التحرك» [٤]. وعلى هذا الأساس فإن الحركة عند العلماء الأولين هي الحركة العضوية والهوائية التي تمكن من إحداث الحرف وفي الوقت نفسه تستلزم الانتقال من مخرج هذا الحرف ال مخرج حرف آخر. فالحركة ليست بالضرورة صوتا (أي مصوتا = Vowel) وإن كانت في غالب الأحيان مصحوبة بمصوت والدليل على ذلك هو ظاهرة الاخفاء (الخاصة بالحركة لا بحرف النون) فان الحركة المخفاة هي التي يتم

---

(١) يراجع في ذلك دراستنا: La notion de syllabe (انظر مسرد المراجع).

(٢) شرح الكتاب، ٢٣/ ٥ ظهر.

(٣) نفس المصدر، (٢١ وجه و١٥ وجه.

(٤) نفس المصدر ١٥ وجه.

توهين صوتها حتى يظن أن الحرف المتحرك بها ساكن وذلك في: «إسم موسى» و«دلو واقد» فهنا لا يجوز إسكان الميم والواو (لسكون ما قبلها). ويحصل الاخفاء في اللهجات العربية الحديثة كثيرا وذلك مثل: «كتاب» باخفاء الكسرة: فالكاف تختلس حركتها حتى لا يظهر صوتها وهي بزنة متحرك. فعلى هذا الحركة هي قبل كل شيء الدفعة والنقلة العضوية والهوائية التي يتم بها الإدراج فهي إطلاق بعد حبس فيلزم من ذلك الانتقال أي التحرك الى مخرج آخر. وأما السكون فهو حبس بعد إطلاق وهو وقف لا يلزم منه الانتقال، (إلا بتحريك جديد). والحركة كصوت هو جانب آخر (إذا لم يحصل إخفاء) ومن هذا الجانب الحركة المصوتة المسموعة هي من جنس الحروف. ولهذا سميت حروفا صغيرة لأنها أصوات وإن كانت لا تقوم مقام الحرف. أما حرف المد فهو امتداد لصوت الحركة ومن حيث الحركة الفيزيولوجية فهو حرف ساكن لانه لا يستلزم الانتقال منه الى حرف آخر.

فهذه وجهة نظر يمكن أن يعتمد عليها في إجراء عملية التركيب للكلام الاصطناعي إذا أثبت الاختصاصيون في هذا الميدان أن حدوث الكلام لا يتم بضم حرف الى مصوّت ثم ضم المصوت الى حرف آخر وهكذا بل بادراج الحرف أي بتحريكه مع الاتيان بحرف ساكن بعده أو استئناف حرف متحرك آخر متلو بحرف ساكن وهكذا. هذا بالنسبة للادراج الخاص باللغة العربية. فهذا دليل أتت به التكنولوجيا تبين فيه صحة ما ذهب اليه علماؤنا إذ النظرية التي لا يمكن ان يعتمد عليها في اجراء الشيء وتطبيقه فهي مجرد وجهة نظر.

الجهر والهمس

عُرّف الفرق القائم بين الحرف المجهور والحرف المهموس في وجود اهتزاز للأوتار الصوتية ـ واحداث صوت حنجري بالتالي ـ مع الحرف

المجهور وعدم وجود ذلك مع المهموس. وهذا صحيح وقد أشار الى ذلك السيرافي في شرحه للكتاب بقوله: «لا تصل إلى تبيين المجهور إلا أن يدخله الصوت الذي يخرج من المصدر[١]». «صوت الصدر» هو الصوت الحنجري بدليل مقابلته للنفس. قال سيبويه: «لأنهن يخرجن مع التنفس لا صوت الصدر» وقوله: «لأن هذه الحروف وكلها مجهورة إذا خرجت بصوت الصدر»[٢].

وقد حاولت أن أبين بفضل التكنولوجيا الحديثة أن حدوث الصوت الحنجري مع الحروف المجهورة غير كاف لتحقيق التمييز في جميع الاحوال إذ قد تتميز عن المهموسة في الكلام المهموس (الوشوشة) الذي لا صوت حنجري فيه. ولهذا قال سيبويه: «فالمهجورة حرف اشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس ان سجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت» ٤٠٥/٨٢. وقال الرماني: «قوة الاعتماد كقوة النقر» (١٧/٥ ظهر). فهذا النقر حاصل ـ لا محالة ـ بفضل تمدّد الجلدة المخاطية في موضع الحرف وقد قسنا ذلك بآلة خاصة وبيّنا ان التوتّر زائد في المجهورة على المهموسة[٣].

---

(١) الجزء ٨، ص ٤٦٢.

(٢) الكتاب، ٢/٢٨٤ ويقول في مكان آخر: «الهمزة... نبرة في الصدر» ٢/١٦٧ ويجعلها في باب الادغام من أقصى الحلق وهو الحنجرة. وتجدر الاشارة الى ان اللغويين والاطباء العرب كانوا يجعلون أعلى الصد ما يلي الحلق (انظر عباراتهم: من اقصى الحلق = آخر الحلق = أول الصدر إلخ. راجع سرّ الصناعة لابن جنى ١/٦ و ٩ وابن يعيش ١٢٤/ ١٠ و١٢٩).

(٣) يراجع بحثنا: Contribution انظر مسرد المراجع.

الإطبـــاق

قال سيبويه: «هذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن الى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه الى الحنك فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور بين اللسان والحنك الى موضع الحروف» (٢/٤٠٦). لم يدرك المتأخرون من النحاة والقراء معنى الاطبـاق فسيبـويه لا يريد بذلك انطباق اللسان على الحنك بدليل قوله: «انطبق من... الى... ترفعه الى الحنك... فالصوت محصور فيما بين اللسـان والحنك» فهنا إذن فضاء بين اللسان والحنك يحصل بالإطباق. وتبين ذلـك التكنـولـوجيا الحديثة. فالسينما المجوافية (بالاشعة) تبين أن أقصى اللسـان يذهب نحـو مؤخـر الفم (وهـذا معنى الارتفـاع / مقـابل الإنخفـاض والإستفـال) ونحو الحلق (وهو سبب التفخيم) مع بقاء طرف اللسان في موضع الحرف غير المفخم (س + تفخيم مثلا = ص). وهذا يسبب إنطباق اللسان أي شيئا مثل التثني وقد لاحظ ذلك ابن سينا إذ قال: «ويحدث في اللسان كالتقعير» وذلك في حرف الصاد[١].

النظريات النحوية وتكنولوجيا المعلوميات (Informatics)[٢]

كثيراً ما نصادف في كتب النحو لفظي الاصل والفرع ـ وليس ذلك خاصا بالنحو ـ فقد يكاد يوجد هذان المفهومان في أكثر كتب التراث وهو من اركان الفكر العلمي العربي. وسنرى فيما يلي أهمية هذين المفهومين.

---

(١) أسباب حدوث الحروف، ١٢٠

(٢) يرجع في ذلك الى كتابي «علم اللسـان العربي وعلم اللسـان العام» الذي كتبته بالفرنسية وآمل أن ينقل قريبا الى العربية (انظر المراجع Linguis tique arabe et ling. generale).

يتناول البنويون المعاصرون تحليل اللغة بالكيفية الآتية: يقطّعون الكلام إلى أصغر أجزائه مما يدل على معنى وذلك باللجوء الى عملية اختبارية تسمى بالاستبدال. فكلما أمكن إنفصال جزء من الكلام بقيام جزء آخر مقامه (وبقاء الكلام ذا معنى وفائدة) ولم يمكن في الوقت نفسه أن يجزأ إلى أجزاء أصغر منه مما يدل على معنى، حكم عليه بأنه وحدة من الوحدات الدالة التي تنتمي الى تلك اللغة (Morphem). يستنتج من هذا ان هناك محورين اثنين: محور يجري فيه الكلام بالفعل حيث تحدث فيه أجزاؤه إحدها يلو الآخر وهو المحور التركيبي (Syntagmatic) ومحور آخر يقع فيه الاستبدال ويحصل ذلك في كل نقطة من المحور التركيبي يمكن أن تحقق فيها استبدال جزء بآخر، ويسمى بالمحور التصريفي (Paradigmatic). كان سيكون هذا حسنا ومؤاتيا لو كانت جميع اللغات تتألف من اجزاء دالة ليس إلّا (أي أن تكون جميع وحداتها الدالة قطعاً من الكلام) وهيهات أن يكون الامر كذلك فإن الكثير من المعاني لا تدل عليها في العربية السوابق واللواحق بل أشياء مجرّدة هي صيغ الكلم والموادّ الأصلية. فلست أدري لماذا يتعسف بعضهم للعثور على المورفيمات الدالة على معنى الجمع في مثل: «صاحب / أصحاب»؟ أيّ الأجزاء في «أصحاب» يدلّ على الجمع؟ أليس من البيّن ان صيغة أفعال (أي زيادة همزة مفتوحة في الأول مع سكون الحرف الأصلي الأول وفتح الثاني بزيادة المدّ كل في موضعه) هي الوحدة الدالة ولم تكن جزءاً مقطعاً؟[1] ولا تستطيع البنوية التقليدية أن تفسر العلاقة التي توجد بين «صاحب» و«أصحاب» لأنها لا تعرف الا التفريع بزيادة السوابق واللواحق. أما التحليل العربي فهو يتجاوز ذلك بالنظر أيضا في

---

(١) ويتعسف البنويون عندما يحكمون على الهمزة هنا وعلى الفتحة مع مدّتها بأنهما مورفيم متقطع (Discontinu) ! . ألم يكن من المعقول أن يعتبر في اللفظ الصيغة أي مجموع الحروف الأصلية والزائدة وحركاتها وسكناتها في ترتيبها وكل في موضعه كما يقول علماؤنا؟

البنـاء البـاطني للكلمـة. ثم انهـا ـ من أجـل «تقـطيعّيتهـا» المغـالية (Segmentalism) [١] ـ لا تعرف التفريغ المنتظم من الأصل الواحد البسيط الى الفـروع التي تتفرع منه على مثال سابق (أطقنا عليه اسم Schene generateur). فالمحور التصريفي في النحو العربي الأصيل ليس هو محلا للاستبدال الساذج المعروف لدي البنويين بل هو محل لتفريعات تخضع لقواعد تحويلية معيّنة (وهم لا يعرفون معنى التحويل بل الذي أعاد له أهميته هو تشومسكي). فالأصل عند العرب هو ما يوجد ويستمر في جميع فروعه وهو ما لا يحتاج الى علامة وهو بذلك مستغن عن فروعه إذ يبنى عليه ولا يبنى هو على غيره. فلكل عنصر في اللغة حكم من هذه الحيثية: هو أصل لغيره و/أو فرع لشيء آخر. وهذا لا ينطبق فقط على ما نسميه بالاشتقاق (وهو جانب واحد من بين الجوانب العديدة الأخرى) بل يتناول أيضا تفريع الألفاظ التي هي أجزاء للجملة وتراكيب الجمل كيفما كانت. والنحو العربي العلمي (لا التعليمي أو الفلسفي) هو مجموع المثل والقواعد التي يمكن أن تفرع بها وعليها جميع الامكانات التعبيرية الخاصة بالوضع العربي[٢]. فهذا الجانب الحراكي (الدينامي) للغة تجهله اللسانيات البنوية التقليدية لانها تركّز كل اهتمامها على تشخيص الوحدات في ذاتها وبالإعتماد على تقابل الصفات الذاتية التي تميزها عن غيرها. وهذا غير كاف إطلاقا. فإن اللغة ليست فقط مجموعة من الذوات المتمايزة بل هي أيضا عمل يسلط على هذه الذوات من تفريغ وتحويل. هذا وقد أغفلت جميع المدارس الحديثة شيئين مهمّين جداً: أولهما هو ضرورة الانطلاق في التخليل من اللفظ وحده لا من

---

(١) وهذا راجع الى النظرة «الذرية» الساذجة التي كانت ميزة للفكر الفلسفي اليوناني.

(٢) والمدرسة التوليدية الامريكية هي الوحيدة التي اهتمت بالمظهر التفريعي التحويلي للغة إلا أنها قد جهلت بعض الجوانب الهامة كتلك المفاهيم التي سنراها فيما يلي.

مفهوم يحتاج الى أن يحدد مسبقا كالجملة المفيدة أو الكلام، والثاني هو أن بنية الكلام لا يُحصل عليها بمجرد التقطيع الاستبدالي (كما يفعله أيضا تشومسكي ولو مثّله على شكل شجرة). فإما النحاة الأولون فقد انطلقوا من اللفظ فاعتمدوا على عملية الانفصال والابتداء لاستخراج الوحدات اللفظية التي تستقل بالفعل في الحديث[١] كهذه: # كتاب ## زيد # و # أنا # و # به # الخ[٢]. فهذه أصول لأنها يمكن ان تتفرع عليها ألفاظ أخرى بالزيادة وذلك مثل # الكتاب # و # بالكتاب #. فهذه التفريعات تحدد موضع كل عنصر في التركيب وبالتالي بنية العبارة لأن التفريع لا يحصل الا على مثال إذ هو بالضرورة منتظم تترتب فيه عملياته حسب ما تقتضيه قواعد معينة وهذا لا سبيل الى وجوده لا عند اللسانيين الغربيين ولا عند المتأخرين من النحاة (فقد أبدلوا ذلك بالتحديد بالجنس والفصل وتركوا التحديد الاجرائي مثل هذا[٣]).

فهذا يخص مستوى ما نسميه باللفظة (وهي كل عبارة يمكن أن تنفصل وتبتدأ في الحديث دون أن يكون فيها ما يمكن أن يفصل عنها). وهناك مستوى التراكيب - وهو ما يتجاوز اللفظة - وهو أعلى من مستوى اللفظة فللنحو العربي مفاهيم تمكّن الباحث من تحليله في أحسن الاحوال. وذلك مثل مفهوم العمل وما يتفرع عليه من مفهوم العامل ومفهومي المعمول الاول والمعمول الثاني ولا سبيل أيضا الى وجود كل ذلك الا عند الخليل وسيبويه ومن تابعهما. فالعامل هو العنصر اللغوي الذي يؤثر لفظا ومعنى على غيره كجميع الأفعال في العربية وما يقوم مقامها مثل حروف

---

(١) ينظر كتاب سيبويه، ١/ ٧٦.

(٢) «زيد» يمكن أن يكون جوابا لسؤال: «من جاء؟» وكذلك «أنا». و«به» جوابا لسؤال مثل: «بمن مررت»؟

(٣) بتأثر النحو بمنطق أرسطو (ابتداء من ابن السراج). أنظر مقالنا: «النحو العربي ومنطق أرسطو».

النصب. أما المعمول الأول في العربية فهو المعمول الذي لا يمكن أن يقدّم على عامله أبداً (وإن قدّم عليه تغير بناءُ الكلام) وهو دائماً أسم أو ما يحكمه وحكمه الإعرابي أن يكون فاعلاً لفعل أو اسماً مبتدأ أو ما يقم مقامه كإسم كان وأخـواتهـا واسم إنّ وأخـواتها وكل ما زاد على ذلك فهو عنصر تخصيص، ويُرمز الآن في الصياغة الرياضية لهذه المفاهيم كالآتي :

$$[(ع \leftarrow م_{١}) \pm م_{٢}] \pm ز^{(١)}$$

إن نظرية العـامل هي الآن أكثر النظريات العلمية طواعية للصياغة الـرياضية وأوفقهـا بالتـالي لمـا تقتضيه المعـالجـة الآلية على الحسابات الالكترونية ولسنا في ذلك مجازفين إذ قد يحاول الآن اللسانيون الأمريكان خاصة أن يطوّعوا مفاهيم النحو التوليدي لهذا الغرض ولم يوفّقوا كل التوفيق لفقـدان هذا النحـو للمفـاهيم التي ذكـرنـاها. وتوجد عند بعض العلماء الأوروبيين بعضها وذلك مثل مفهوم العامل والمعمول ومفهوم اللفظة لكن بدون تفريع منتظم مثل ما هو موجود في النحو العربي. وقد أشرنا فيما سبق الى وجود أعمال عظيمة عبر العالم ترمي الى تحقيق ترجمة آلية بالرتابات وكلها مفتقرة الى مفاهيم ناجعة مثل هذه.

---

(١) ع = عامل، $م_{١}$ = معمول أول، $م_{٢}$ = معمول ثان، ز = زيادة للتخصيص أو الفائدة (كالحال وسائر المفاعيل غير المفعول به). فالسهم يعني أنّ ع تقدم وجوبا على $م_{١}$ والقوسان يعنيان او الزوج (ع ← م) يكوّنان وحدة تركيبية.

وفي الختام نستطيع أن نقول بأن التقدم الذي نريد أن نحققه في علوم اللسان النظرية والتطبيقية وفي علم العربية خاصة لن يتم في نظرنا إلا بتحقيق شيئين اثنين: أولاً الاختبار المتواصل لجميع النظريات بالتكنولوجيا الحديثة، وثانياً الرجوع الى التراث الأصيل (وترك غير الأصيل) مع مواصلة البحث انطلاقا مما تركه لنا علماؤنا القدامى المبدعون. وقد سرنا على هذا الطريق معشر الباحثين في معهد العلوم اللسانية مع عدد كبير من الإخوان في المشرق والمغرب. وقد سميت هذه الجماعة ونزعتها بالمدرسة الخليلية الحديثة فنعم التسمية! ورجاؤنا من الله تعالى هو أن تكون عند حسن ظن من لقّبها بذلك وبالله التوفيق.

المراجع

(١) يرجع فيما يخص النظريات اللغوية الحديثة الى :

- J. Lyons, Introduction to theoretical Linguistics, London 1965.

- C.F. Hockett, A Course of modern Linguistics. New-York 1958.

- A. Martinet, Elements de linguistique generale. Paris 1968.

- N. Chomsky, Aspects of the theory of Syntax, Cambridge. Mass, 1965.

(٢) وفيما يخص تكنولوجيا البحث اللغوي التطبيقي :

- National Academy of Sciences. Language and machines, Computers in translation and linguistics. Washington. D.C., 1966.

- V. Lawson, Practical experience of machine translation. North Holland,1982.

- O. Mettas, Les techniques de la phnetique experimentale, Bruxelles-Paris, 1971.

- L.R. Rabiner, R.W. Shaffer, Digital Processing of Speech Signals. Prentice-Hall.

- S. H. Al-Ani, Arabic phonology. An Acoustical and Physiological Investigation. Mouton, The Hague 1970.

(٣) المراجع المذكورة في هذا البحث:

- كتاب سيبويه، طبعة بولاق، جزآن، ١٣١٧هـ.

- شرح كتاب سيبويه للرماني، نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية (ابتداء من ٨٦ نحو).

- شرح كتاب سيبويه للسيرافي، كذلك (ابتداء من ٨٢ نحو).

- أسباب حدوث الحروف لابن سينا. تحقيق م. ح الطيان وى. مير علم، دمشق ١٩٨٣.

- مقدمة ابن خلدون، طبعة بيروت ١٩٦٧.

- النحو العربي ومنطق أرسطو للدكتور ع. الحاج صالح. مجلة كلية الآداب. بالجزائر، ١٩٦٤، ص ٦٧-٨٦.

- A. Hadj-Salah, La notion de syllabe et la theorie cinetico-impulsionnelle des phoneticiens arabes. Al-Lisaniyyat, Alger, no. 1, pp. 63-83.

- id., Linguistique arabe et linguistique generale, = تحت الطبع) (en cours d'impression

- id. Contribution a la Connaissance physiologique de l'opposition: Sourde / Sonore. Actes du 6e Congres international des sciences phonetiques - La Haye. 1972, pp. 310-315

ندوة حول :

دور المجامع اللغوية في الحياة العلمية العربية المعاصرة

اشترك فيها :
الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة (رئيس المجمع)
والاستاذ الدكتور اسحاق فرحان
والاستاذ الدكتور محمد أحمد سليمان

يسعدني أن اختتم الموسم الثقافي الثاني لمجمع اللغة العربية الأردني بهذه الندوة الخيّرة، ويسرني ان اشارك فيها مع زميليّ العالمين الجليلين، الأستاذ الدكتور محمد أحمد سليمان، أستاذ الطب الشرعي بكلية الطب في الجامعة الأردنية، والأستاذ اسحق الفرحان، أستاذ التربية في جامعة اليرموك.

ان موضوع هذه الندوة واسع وشامل، يطرح على بساط البحث قضايا متعددة، منها ما يتعلق بالمجامع اللغوية العربية وتجاربها في القاهرة، ودمشق، وبغداد، وعمّان؛ سواء أكان ذلك في نشأتها ومسيرتها التاريخية، أم في مجال منجزاتها في حقول المعاجم والمصطلحات واحياء التراث. وقد تتجاوز هذه القضايا حدود بلدان هذه المجامع الى الاقطار العربية الأخرى، بل الى الأقطار الاسلامية... والى رحاب الوطن الكبير للغة العربية، التي شرّفها الله، سبحانه وتعالى، بأن جعلها لغة القرآن. فالعربية ليست لغة قوم بعينهم ولكنها لغة الاسلام.

ولا شك ان هذه الموضوعات جميعها، التي تعبّر عن أوضاع المجامع اللغوية العربيّة، لا بدّ أن تثير قضايا مهمّة، ربّما تحتاج الى اكثر من ندوة لمناقشتها... ولكننا سنحاول في هذه الندوة اثارة بعض هذه القضايا... فمنها ما يتعلق بالمشكلات التي تواجهها مجامعنا اللغوية، حيث نجد الانفصال، مثلا، بين النظرية والتطبيق يكاد يكون صارخا. فاذا استثنينا الوضع في سوريا، فان الفجوة واسعة بين ما تنجزه المجامع اللغوية وما تبذله من جهود في مجال التعريب والمصطلحات، وبين الجامعات والمؤسسات

العامة والخاصة في الوطن العربي . . . وغير ذلك من المشكلات التي تواجه المجامع اللغوية من خارجها او من داخلها.

وان استعراض الأوضاع الحالية للمجامع وأهم المشكلات التي تواجهها، يقودنا الى تطلّعات المستقبل، وتحديد خطة عمل شاملة ومتكاملة في مجالات تعريب جميع العلوم والتقنيات الحديثة، واقامة البحوث اللغوية، وانشاء مؤسسات الترجمة، وعمل المعاجم، وتحقيق التراث على مستوى الوطن العربي، وغير ذلك من الموضوعات المهمّة التي يجب أن تستوعبها خطة المستقبل.

وسأحاول بدوري أن ألقي ضوءاً على نشأة هذه المجامع وتجاربها الخصبة في تاريخها المعاصر.

نشأت المجامع اللغوية العربية استجابة للمرحلة التاريخية التي مرّت، وما زالت تمر بها، أمتنا العربية. فاذا كانت المحاولات الأولى قد بدأت منذ أواخر القرن التاسع عشر، فإن جذورها تضرب بعيدا في أعماق تاريخنا الحضاري. فإذا نظرنا اليها من حيث هي مؤسسات علمية تضفي عليها الدولة طابعا رسميا، وجدنا هذه الجذور تمتدّ الى بيت الحكمة في العصر العباسي، زمن الرشيد والمأمون، وإذا نظرنا اليها من حيث جوهر فعاليتها، وجدنا انها تتجاوز الى ابعد من بيت الحكمة، عندما أصبحت اللغة العربية، لأول مرة في تاريخها، في تماسّ مع الحضارات العالمية القديمة، بل مع حصيلة المعرفة الانسانية. فبدأت حركة الترجمة من اليونانية واللاتينية والفارسية والسنسكرتية والسريانية وغيرها الى اللغة العربية. وكانت بدايات هذه الحركة قد بدأت منذ عهد مُبكّر بعد صدر الاسلام وفي بداية العهد الاموي.

ليس في نيتنا ان نتحدث عن هذه الفترة، فان الوقت لا يتسع، ولنبدأ الحديث عن هذه المجامع والمؤسسات اللغوية في العصر الحديث.

ولكنني قبل ان تخوض ندوتنا في جزيئات متناثرة، وفي اطار شامل للموضوع الذي تناقشه، أودُّ أن تُحَدَّد منذ البداية الخطوط العريضة للمنطلقات الاساسية التي ننطلق منها في هذه الندوة. وربّما كان من الصواب ان نقول: هنالك منطلقان أساسيان ننطلق منها في نظرتنا الشاملة: فالمنطلق الاول يصدر عن الواقع الذي نعيشه في الوقت الحاضر، في عالم تمازجت فيه الحضارات والشعوب وآخْتُزِلَت الأبعاد المكانية، ويقف على مشارف فجر لحضارة انسانية جديدة، بفضل ما وصل اليه العلم والتقنيات الحديثة. وتجدّد المنطلق من خلال ما يكاد يُجْمع عليه علماء اللغة، بأننا نعيش الآن على ابواب ثورة لغوية، وذلك نتيجةً للتقدّم الهائل في مجال العلوم والتقنيات. وكان لهذا التقدّم المتسارع آثار عظيمة في تطوّر وسائل الاتصال الجماهيرية؛ فخلال السنوات القليلة الماضية، نجد تقدُّماً تقنياً هائلاً شمل الاذاعة المسموعة، والاذاعة المرئية (التلفزيون)، ووسائل النشر، ودخول الحاسوب (الكمبيوتر)، والأقمار الصناعية وغيرها من التقنيات الحديثة، في مجال الابحاث اللغوية، وبأتت اللغة المنطوقة من خلال الاجهزة المتطورة تزاحم اللغة المكتوبة... فضلاً عن قارئات المخطوطات والميكروفيلم والميكروفيش... الخ.

وقد دخلت هذه الوسائل التقنية والاجهزة المتطورة مجال خدمة اللغة العربية. ومن امثلة ذلك ما سمعناه في محاضرة الأستاذ عبدالرحمن الحاج صالح، يوم الثلاثاء الفائت، في قاعة مجمع اللغة العربية، كيف استطاع معهد اللسانيات في الجزائر أن يفيد من التقنيات الحديثة، ومما وصلت اليه

وسائل الاتصال الجماهيرية من تطور وتقدم، أن يجعل الحاسوب (الكمبيوتر) ناطقا باللغة العربية، بعد ان كان الى فترة قريبة، كافياً للأجابات عن الاسئلة التي تُوجَّه اليه، باللغة الحرفيّة وبالحروف المشكلة أيضا. . .

لقد استطاع المعهد المذكور أن يفيد من العلوم والتقنيات الحديثة، بتركيب اصوات انسانية، ليست أصوات بشر بعينهم. .

أقول يكاد يجمع علماء اللغة في العالم على أننا على ابواب ثورة لغوية بفضل التقدم العلمي والتقني. فأين نحن ولغتنا العربية من الحركة العلمية ومسيرتها العملاقة؟

وأما المنطلق الآخر الذي ننطلق منه فهو ايماننا بأن الوقت قد حان لكي يكون للغة العربية، لغة القرآن الكريم، مجمع لغوي واحد، يمكن أن ترفده مختلف الأقطار العربية بروافد تزيده ثراء وخصوبة؛ فانّ حِرْصَنا على تعريب العلوم والتقنيات لا يوازيه الا حرصنا على أن تكون لنا لغة موحدة في مجال العلوم والحضارة، كما هو الشأن في الآداب.

وقد لا أعدو الحقيقة اذا قلت ان هذه هي المنطلقات الأساسية التي ننطلق منها في مجمعكم، مجمع اللغة العربية الأردني؛ فمنذ تأسيسه، حرصنا على الانضمام الى اتحاد المجامع اللغوية العربية. وانّه ليشرّفنا، أن نعلن أننا لجنة، بل لجينة في مجمع لغوي واحد، وان مجمع اللغة العربية الأردني ما هو الا تعبير عن ارادة هذا البلد العربي الأصيل في خدمة لغة الضاد: لغة أمتنا العربية، ولغة القرآن، وبالتالي فهو لغة العروبة والاسلام.

واذا عدنا بذاكرتنا الى نشأة المجامع اللغوية في العصر الحديث، نجد أنها تساير نضال أمتنا في سبيل تحررها واستعادة سيادتها. فمنذ نهاية القرن التاسع عشر، أصبحت العناية باللغة العربية من خلال مؤسساتها ومجامعها، تعبيرا عن كفاح الأمة في مقارعة الاستعمار من اجل التحرر السياسي والثقافي والاجتماعي.

فعندما بدأت النهضة العلمية في مصر، في بداية القرن التاسع عشر، لم تكن هنالك مشكلة في استخدام اللغة العربية من حيث المبدأ. وبدأ التعليم والاتصال بالعلم الحديث باللغة العربية، كما تفرضه طبائع الاشياء وكما يفرضه المنطق السليم.

فكانت جميع المواد العلمية، ومنها الطب والهندسة، تُدَرَّس باللغة العربية... وما إن اجتاح الاحتلال البريطاني مصر سنة ١٨٨٢م. حتى تغيّرت لغة التدريس في السنة ذاتها من اللغة العربية الى اللغة الانجليزية. وكان لهذا اصداؤه خارج مصر، فارتدّت الكلية الوطنية السورية، الجامعة الأمريكية فيما بعد، عن تدريس الطب والعلوم باللغة العربية، وبدأت تدرّس باللغة الانجليزية في العام نفسه، أي سنة ١٨٨٢م. وان مجرد نظرة فاحصة الى هذا الوضع، تقودنا الى الحكم بعدم الفصل بين النضال السياسي لهذه الأمة، ونضالها من أجل استعادة اللغة العربية سيادتها في وطنها؛ وهو نضال مرير، ما زال مستمرا حتى الوقت الحاضر، بين اللغة العربية من جهة ومن اللغات الأجنبية، لغات المستعمرين من جهة أخرى. بل اصبح هذا النضال المستمر تعبيرا عن ارادة امتنا في التحرر من التبعية السياسية والثقافية والعلمية. وان كل استقلال يظلّ منقوصا ما بقيت لغة التدريس الجامعي والبحث العلميّ لغات أجنبية. فانتصار العربية في

اوطانها، انتصار للحق والمنطق، وانتصار للابداع والمشاركة العربية الأصيلة في بناء الحضارة الحديثة.

وان الوقائع التاريخية تثبت ما ذهبنا اليه؛ فقد انشيء في القاهرة سنة ١٨٩٥م، المجمع اللغوي للوضع والتعريب برئاسة المرحون السيد توفيق البكري، وضم نخبة من فضلاء مصر؛ ولكنّه عطل بعد سنوات، ثم أعيد وبقي يتعثر في مسيرته. . . . وفي سنة ١٩٣٢م. انشيء المجمع اللغوي في القاهرة، باسم مجمع اللغة العربية الملكي. . . وفي سنة ١٩٣٨م. أبدل اسمه واصبح يحمل اسم «مجمع فؤاد الأول للغة العربية. . .» ثم أصبح فيما بعد مجمع اللغة العربية.

وفي سوريا الشقيقة تأسس المجمع العربي في دمشق في شهر ايلول سنة ١٩١٩، وجاء يُجَسّد صدق الاتّجاه الذي نحونا به. فاذا باللغة العربية: على الرغم من الاحتلال الفرنسي، تخوض نضالاً مريراً، تَوَّجَهُ الظفر منذ البداية، فأصبحت اللغة العربية لغة العلم، ولغة المؤسسات العامة والخاصة في البلاد السورية.

وكانت الجهود الشجاعة من أجل التعريب وسيادة اللغة العربية، تغذّيها حركة وطنية عارمة تقارع المحتل الأجنبيّ وسياساته الاستعمارية.

وهكذا، على الرغم من الاحتلال الفرنسي، نجد جهابذة اللغة العربية وفرسانها في بلاد الشام قد تكاتفوا مع اساتذة الجامعة السورية، في كليتي الطب والحقوق، للتدريس باللغة العربية وحدها، وذلك منذ سنة ١٩١٩م. واستمرّت الجامعات السورية بكلّياتها المختلفة في عهد

الاستقلال بالتدريس باللغة العربية. وبذلك حمل القطر السوري الشقيق علم اللغة العربية عزيزا عاليا. فكلّيتا الطب والحقوق تدرّسان باللغة العربية منذ خمس وستين عاما، وبعد الاستقلال سنة ١٩٤٥ حتى يومنا هذا، فأُسِّسَت جامعات عديدة، تدرّس جميع كلّياتها باللغة العربية. وكان هذا شرفاً للجامعات السورية الشقيقة تفرّدت به في الوطن العربي الكبير.

بدأت النهضة في بلاد الشام منذ تأسيس الدولة العربية في عهد الملك فيصل، رحمه الله.. وعندما دخل الاستعمار الفرنسي سوريا، وأطاح بالحكم الوطني، لم يستطع الاحتلال الأجنبي أن يقف أمام تيّار التحرر... واستطاعت اللغة العربية في أحلك الأوقات أن تشقّ طريقها في سوريا...

وفي عهد الاستقلال، استكملت جامعة دمشق كلياتها العلمية المختلفة، وكانت العربية لغة التدريس... وعندما تأسست جامعة حلب، وفي أول السبعينات، حدثت رِدّة مسمومة، اقتصرت على هذه الجامعة بعينها، اذا بدأت جامعة حلب تدريس العلوم باللغة الانجليزية. وكانت رِدّة مرة، تلقّفها أعداء العربية ومن يكيدون لها عن جهل او عن قصد، لكي يشنّوا على حركة التعريب هجوماً حاقداً، كما لمست ذلك بنفسيّ بين بعض الوفود التي شاركت في مؤتمر التعريب الثالث الذي عقد في الجزائر. ولم يكتب لهذه الأصوات النجاح... فما لبثت جامعة حلب ان لمست فشل هذه التجربة ونتائج هذه الرِدَّة، وتَغَلَّب التيار الصحيح، وعادت جامعة حلب تدرس باللغة العربية في جميع الكلّيات.

وقـد مهّـد تأسيس مجمع دمشق السبيل لتأسيس مجامع علمية في أقطار عربية اخرى، كالقاهرة، وبغداد، والاردن، ولبـنان. .

وفي العراق كانت أول محاولة لتأسيس مجمع علمي سنة ١٩٢١م. ثم جرى تشكيل لجنة سنة خمس وعشرين من اجل تأسيس مجمع علمي، ما لبثت أن عصفت بها رياح الضياع. وقد أشار الى ذلك الامير مصطفى الشهـابي بقـوله: لم تطل ايام المجامع التي كانت قد أنشئت في بيروت وبغداد وعمان بعد الحرب الكبرى الاولى، ويعزى قصر عمرها إما لحبس الحكومات المال عنها، واما لانه يعوزها غير المال.

وفي سنـة ١٩٤٧م. تكـوّن المجمـع العلمي العراقي، وبدأ يبذل جهـودا خيّرة في احياء تراث امتنـا العـربية واثـراء العـربية بالمصطلحات العلمية. وفيما يتعلق بالمجمع الاردني، فنلاحظ اشارة الى مجمع عمان في النص الـذي اوردنـاه للمرحوم الامير مصطفى الشهابي. وقد جاء في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، في الجزء الاول من المجلد الرابع الصادر في كانون الثاني سنة ١٩٢٤ ما يلي :-

تحت عنوان: (مجمع علمي في شرق الأردن) يرد النص التالي :-

«جاءتنا نشرة مآلها أن سمو الامير عبدالله اصدر امره بتأسيس مجمع في عمان، عاصمة شرق الاردن العربي، وانتخَب رئيساً له سماحة رصيفنا الشيخ سعيد الكرمي، وكيل الشؤون الشرعية؛ وأما أعضاؤه فهم العلماء: رضـا توفيق بك الفيلسوف التركي المشهور، والشيخ مصطفى الغلاييني، ورصيفنـا رشيد بك بقدونس، ومحمد بك الشريقي، مدير جريدة الشرق العربي المنشأة في تلك البقعة منذ زمن قريب. وعلمنا انه انتخب اعضاء

شرف له العلماء الرصفاء: أحمد زكي باشا، ورئيس مجمعنا العلمي السيد محمد كرد علي، والشيخ أحمد عباس الأزهري، والأب انستانس الكرملي، والسيد اسعاف النشاشيبي. وفي تلك النشرة أن المجمع يسعى لاحياء اللغة العربية، ونشر المدارس والمؤلفات، والقاء المحاضرات، وانشاء دار كتب، واصدار مجلّة شهرية. فترحب بهذا الرصيف الجديد».

وقد شاءت الظروف على حد تعبير الامير مصطفى الشهابي، أن لا يستمر مجمع عمان لقلة المال وقلة الرجال.

وفي سنة ١٩٦١، انعقد المؤتمر الأول للتعريب في الرباط، وأوصى بأن تشكّل لجان وطنية للترجمة والتعريب والنشر في جميع الاقطار العربية التي ليس فيها مجامع لغوية، على ان تتطور فيما بعد لكي تصبح مجامع لغوية. وفي اثر ذلك تشكلت اللجنة الاردنية للترجمة والتعريب والنشر، وكان لي شرف عضويتها منذ تأسيسها. وقامت هذه اللجنة بجهود مشكورة على الرغم من الامكانات المادية الطفيفة. وقد تسبّبت الظروف القاسية التي مرّ بها هذا البلد العزيز بتأخير قيام مجمع لغوي ذي كيان مستقل. وفي سنة ١٩٧٦ صدرت الايرادة الملكية السامية بتأسيس مجمع اللغة العربية الأردني، ونُشر قانونه في الجريدة الرسمية، وبدأ عمله في ١/١٠/١٩٧٦.

وقد حرصنا منذ البداية على ان ننضم الى اتحاد المجامع اللغوية العربية، وقُبِل مجمع اللغة العربية الأردني عضوا في هذا الاتحاد. وفي أول اجتماع كان لي شرف تمثيل مجمعنا في الاتحاد، طرحت القضيتين التاليتين:-

القضية الأولى : وهي تعبر عن الفلسفة التي يصدر عنها مجمع اللغة العربية الأردني ، ومؤداها اننا نأمل أن يتطور هذا الاتحاد لكي يصبح مجمعا واحدا للُّغة العربية .

واما القضية الثانية : فانها تتعلّق بفهم الحاضر والاستجابة لمتطلباته ، واستشراف المستقبل . فالتطور التاريخي يفرض علينا ، في هذه المرحلة من تاريخ أمتنا ، أن نعيد النظر في أساليبنا واهدافنا ؛ فالهدف الاساسي الذي يجب ان نضعه نصب اعيننا في الوقت الحاضر هو الجواب على السؤال الكبير: كيف تصبح لغتنا العربية لغة العلم ولغة التقنيات الحديثة؟ وبالتالي عن التساؤلات : كيف تصبح العربية لغة التدريس في جميع مستويات التعليم ، وفي جميع العلوم وحقول المعرفة؟ وكيف تصبح لغة البحث العلمي؟ . .

قامت مجامعنا اللغوية بجهود خيّرة في خدمة اللغة العربية ، فوضعت البحوث اللغوية الدقيقة ، وكان لها اجتهادات صائبة في الاصول . وكان لذلك كلّه مكانة مشرقة في تلك المرحلة من تاريخنا الحديث . ولكن التطوّر العلمي والتقني الهائل الذي يجتاح العالم المتقدم ، يفرض علينا ان نعيد النظر في أساليبنا واهدافنا . وإن الهدف الاول الذي يجب أن نضعه امامنا هو: كيف تصبح اللغة العربية لغة العلم والبحث العلمي ، ولغة التقنيات الحديثة؟ .

ان المنطق ليحار في فهم الوضع اللغوي لأمتنا العربية في أقطارها المترامية الأطراف ، من بغداد الى الرباط!! فهنالك حوالي ستّين جامعة تُدرّس ، اذا استثنينا قلّة منها ، العلوم ولا سيما الطب والهندسة باللغات الأجنبية ، الانجليزية او الفرنسية . . .

ولكي لا نتحدث عن الآخرين في الاقطار الشقيقة، اقول: كيف يمكن أن يَقْبَل المنطق ان تنشأ جامعة وطنية في الاردن، تحمل اسم اليرموك، بعد انشاء الجامعة الاردنية بعشر سنوات، فترتد الى الوراء وتبدأ تُدرِّس حتى العلوم الانسانية باللغة الانجليزية؟ هذا مع العلم ان الجامعة الاردنية، وتقع على مد البصر من جامعة اليرموك، تدرِّس العلوم الانسانية باللغة العربية منذ اثنتين وعشرين سنة!!. اقول: ان المنطق ليحار في فهم هذه الأوضاع المتردية، في الوقت الذي نجدأُمَمَاًأخرى، ليس للغاتها شأن اللغة العربية في تجربتها التاريخية وفي امتدادها في الزمان والمكان، قد جعلت من لغاتها لغات للتدريس الجامعي والبحث العلمي. والأمثلة على ذلك كثيرة، ونذكر منها: اللغات البلغارية، واليوغسلافية، والفنلندية، والبولندية، والتركية، والفارسية، بل ولغة التيبت!!

وفي جميع الأحوال، هنالك شعوب واحدة فقط تدرس بغير لغاتها في العصر الحديث، وهذه هي الشعوب الافريقيةالتي لم يكن لها لغات جامعة في اكثر الأحوال، فأخذ بعضها اللغة الانجليزية واتخذ بعضها اللغة الفرنسية. وكذلك الامم التي رزحت تحت نير الاستعمار، وفيها عدد كبير من اللغات المحلية، مثل: الهند التي تدرّس العلوم باللغة الانجليزية. وانني اتحدى خصوم التعريب وخصوم العربية بأن يأتوا لنا بمثال آخر خارج من ذكرنا! أليس من عجائب الأمور وسخريات الزمان ان نرى، مثلا، جامعة القدس العربية، التي ترزح تحت نير الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، تُدَرّس العلوم باللغة الانجليزية في حين ان جامعات العدو اليهودي تدرّس باللغة العبرية!!!

(والآن: الكلمة للأستاذ الدكتور اسحق الفرحان)

شكراً للدكتورخليفة على هذا العرض الذي كفانا به مؤونة الرجوع الى تاريخ من الانجازات، او من محاولات الانجاز، لخدمة لغتنا العربية في مواجهة متطلبات العصر من الحياة العلمية المعاصرة، حتى تلحق أمتنا بغيرهـا من الأمم. واسمحوا لي كمربٍّ، وقبل أن أبدأ، أن أمهد لحديثي بايراد بعض الخواطر من ايحاءات الموقف.

تمهيـــــد:

١ - عند زيارتي لمدينة «بون»، في ألمانيا، في السبعينات، وكنا ضمن وفد تربـوي في زيارة رسمية، سمعتُ مرافقنا الألماني يقول: «هذه بون عاصمتنا المؤقتة». ثم أردف قائلا «ولكن عاصمتنا الدائمة هي برلين». فضحكت؛ وأدرك هو لماذا ضحكت، فقال: على أي حال عندنا مثل ألماني مترجم بما معناه، «أنه لا يوجد شيء أدوم مما يعتبره الناس أحيانا مؤقتا».

وهكذا، بالنسبة للغة العربية واستخدامها في الجامعات، نصّت قوانين الجامعات الأردنية كلّها على أن اللغة العربية هي لغة التدريس الجـامعي، وفي حالات الضـرورة فقط، وفي الـظروف الخـاصـة فحسب، يجـوز أن تستثنى هذه القـاعـدة فَتُدَرّس بعض العلوم بلغة أجنبية، الى حين محاولة استئناف التدريس باللغة العربية. أي ان في ذلك حفزاً للقائمين على امر التعليم الجامعي بأن هذا الاستثناء يجب أن لا يطول، ليدوم أعواماً، بل عشرات الأعوام؛ انما هو امر استثنائي من طبيعته العرضية، حتى ترى ادارة الجامعات رأيها، وتدبّر أمرها، بسرعة اتخاذ الاجراءات التنفيذية للتدريس باللغة العربية.

٢ ـ ونقطة أخرى، أو خاطرة أخرى هي من ايحاءات ذكرى الاستقلال التي يمرّ بها بلدنا الطيب وبلاد عربية أخرى؛ انني اعتقد ان من تمام الاستقلال استقلال ارادة الامة، واستقلال ثقافة الامة، وتميُّز هوية الامة. إن أهون مراحل الاستقلال هي مرحلة طرد الاستعمار العسكري والسياسي، ولكن أصعب مراحله هي، كما يقول الشهيد سيد قطب، طرد الاستعمار الفكري والاستعمار الثقافي من النفوس، ومن الأرواح؛ لأن الغزو الفكري يختلط بالعقل، ويختلط بالتربية، ويختلط بالخلق والسلوك، ويختلط بالقيم والعادات. ولا شك ان من تمام استقلال الأمم أن تحترم نفسها، وتحترم لغتها. ولا تُعْتَبَر الدولةعربيةمستقلة تماما اذا لم تدرّس أبناءها باللغة العربية. أقول إنّ من تمام الاستقلال كذلك أن تسعى اجزاء الأمة العربية الواحدة الى التجمع، على أساس من العقيدة واللغة، في وحدة عربية اسلامية شاملة، ليعود لهذه الامة عزها ومجدها. قال تعالى: ﴿ان هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فأعبدون﴾.

٣ ـ وخاطرة ثالثة، هي أن هذه الندوة بطبيعتها العامة لا تمكّننا من الخوض في التفاصيل الفنية، في توضيح كيف نواجه عشرات الآلاف، بل مئات الآلاف من الاصطلاحات العلمية، التي تتميز بها الثورة المعرفية في هذا العصر. وأكتفي بضرب مثل من الكيمياء العضوية، التي بلغت أسماء مركباتها نحو (٣) ملايين مركبا؛ فكيف نواجهها؟ أنا أعتقد أنه يمكن مواجهة ذلك من قبل الفنيين بسهولة، اذا اتفقنا على بضع مئات من جذور الاسماء والكلمات المفتاحية، وتصبح الملايين الباقية اشتقاقات ثانوية، كما هو معروف للفنيين في هذا العلم.

والذي نستطيع أن نؤكده هنا بصورة عامة، هو أنه بالامكان النجاح في المواجهة الفنية اذا نجحنا في معركة الارادة الذاتية؛ فالقضية لا تكمن في الناحية الفنية بقدر ما تكمن في ارادة الأمة على ان تحترم نفسها، وأن لا تعيش الصَّغار، وان تستخدم لغتها، وأن تبذل جهودا استثنائية لمواكبة الحياة العلمية المعاصرة، التي تتّسم بالثورة المعرفية. يقول العارفون ان علماء هذا العصر يبلغون في عددهم ٩٠٪ من العلماء الذين ولدوا على هذه الكرة الارضية منـذ ان كانت الى اليوم؛ وهكذا تتناسب مجهوداتهم، ويتناسب عطاؤهم، ونتائج بحوثهم العلمية مع عددهم، قطعا. فاذا لم نبادر، وبسرعة معقولة الى استخدام لغتنا في مواجهة هذه الثورة المعرفية المتنامية، والى ان ندرّس ونؤلّف، ونبحث باللغة العربية، فان الفجوة ستتسع يوما بعد يوم، وستزداد المسافة بيننا وبين اللحاق بركب الحضارة العلمية المعاصرة، لأن الحياة ليست ساكنة بل متحركة، والعالم من حولنا متحرك ايضا، والعلماء كل يوم في ازدياد، وأبحاثهم في تراكم، وبالتالي لا بد من جهود استثنائية، ومن تبني اسلوب عمـل الفريق، ولا بدّ من ارادة لا تكلّ، ومن استخدام للوسائل التكنولوجية الحديثة في سبيل خدمة لغتنا، والنهوض بها لمواكبة الحياة العلمية المعاصرة لهم.

المشكلات التي تواجه مجامع اللغة العربية: والآن سأوجه حديثي الى تقصّي أهم المشكـلات التي تواجـه مجامع اللغة العربية في مواكبة الحياة العلمية العربية المعاصرة، وهي في رأيي لا تتعدى بضع مشكلات بارزة، وهي:

المشـكلة الأولى:

الانفصـال بين النـظرية والتطبيق في عمل المجامع اللغوية. وكما سمعنا من الحديث عن انجازات المجامع، ومن الترجمات التي قامت بها، فانه قد أُلِّفت كتب، وظهرت معاجم في مصطلحات فنية وعلمية تحتوي، كمـا سمعتم في ندوات ومحـاضـرات سابقـة، على عشـرات الألوف من المصطلحات، ولكننا لا نزال واقفين عند الخطوة الأولى التي بدأنا بها، ذلك لأن ما يترجم أو يعرّب، يوضع على الرفوف، لا بين يدي الطلبة ولا يمارسه المعلّمـون؛ فاذا الفجوة الأولى هي الفجوة بين النظرية والتطبيق. فكيف يمكن جَسْرُ هذه الفجوة بين النظرية والتطبيق، في عمل المجامع؟ ذلكم هو السؤال الكبير الذي ينبغي ان يكون موضع النقاش والتحليل.

والمشكلة الثانية:

هي ضعف العلمـاء العـرب والاسـاتـذة في الجـامعات في لغتهم الأصيلة: ولا يكفي ان نتحدّث عن ضعف الطلاب في المرحلتين الثانوية والابتدائية. لقد سمعت عن استاذ جامعي انه منذ خمسة عشر عاماً لم يفتح القرآن، ولم يقرأ فيه كلمة؛ والقرآن الكريم هو مصدر اللغة العربية، وهو ميزانها، فقولوا لي بربكم، هل يمكن أن يستقيم لسان هذا الأستاذ الجامعي وأضرابه؟

ان كثيراً من أساتذة الجامعات يفخرون بالتكلم فيما بينهم بغير اللغة العـربية؛ بل ربما يفخر بعضهم في التحدث مع أبنائه وأسرته بغير اللغة العربية. فأين القدوة لطلابنا اذن؟

اذا كان هؤلاء الذين يدرّسون، ومن بينهم أساتذة في اللغة العربية درسوا في الغرب، على ايدي اساتذة يرطنون بالعربية ولا يجيدونها، كيف

نحـل المشكلة الحقيقية؟ ان المشكلة تشبه مشكلة المريض الذي يضع مشكلته امام طبيب ليعالجه، وهو ليس بالطبيب أو هو طبيب مزيف ولو حمل شهادة مختومة. اذا كان أستاذ اللغة او العلوم لا يتقن اللغة العربية ولا يعتزّ بهـا، فكيف نلوم اللغـة؟. ان العيب ليس في اللغة، والضعف ليس في اللغة، انما الضعف فينا نحن. ومن سوء الحظ، فاننا نطلب احيانا من هذا الاستـاذ الـذي تخـرّج من بلغـاريا أو روسيا، ولم يدرس لا بالعـربية ولا بالانجليزية، أن يأتي ويدرّس طلابنا باللغة الانجليزية، وهو نفسه لا يتقن اللغـة الانجليزية، ولا شك انه من الاسهل عليه في هذه الحالة لو درّس طلابنا بلغتهم الام، اللغة العربية.

ولقـد سمعتم بالامس حديث الدكتور محمد هيثم الخياط، عندما سأله سائل، لماذا فشل تدريس الطب باللغة الانجليزية في جامعة حلب؟؟ قال: لأن الحكـومـة أرسلت البعثات ليدرسوا في روسيا الطب بالروسية، ولكن عندما عادوا طلبت منهم ان يدرّسوا الطلاب الطب باللغة الانجليزية، ومن هنا كان الفشل. امور عجيبة ننتهي منها الى ان الاساتذة عليهم واجب كبير، وهم جزء من المشكلة في مواجهة مشكلة التدريس باللغة العربية، واستخدام اللغة العربية، أو مواكبة العلوم باستخدام اللغة العربية.

والمشكلة الثالثة هي:

عدم توافر القواميس العملية العربية الحديثة في العلوم المختلفة، وعـدم سرعة المجامع اللغوية في ايصال ما تنتجه من جهود الى المؤلف والمعلم والطالب.

طبعا هناك انجازات كثيرة في ميدان الطب، وكما سمعنا من الدكتور محمد هيثم الخياط في المعجم الطبي الذي اشرف عليه، انه تمّ وضع نحو خمسة وعشرين الف مصطلح، وانهم يتوقعون خلال اربع سنوات اي يصل العدد الى خمسة واربعين الف مصطلح. وكذلك المعجم الفني للعلوم التطبيقية والهندسية، فيه خمسة وثلاثون الف مصطلح. وهكذا في المعاجم العسكرية، يبرز المعجم العسكري الموحد عملاً ضخماً رائداً؛ وكذلك المعاجم في النبات والحيوان والكيمياء وغير ذلك. ولكن هذه المعاجم، مع ما يضاف اليها سنويا في مجمع اللغة العربية الأردني والمجامع الأخرى في البلدان العربية من مصطلحات فنية، ينبغي ان تخرج بسرعة الى السوق العلمي على شكل قواميس عصرية، وتوضع في المكتبات بين يدي المؤلف والمعلم والطالب، لتؤتي اكلها خيرا ولو بعد حين.

والمشكلة الرابعة:

هي غياب القرار السياسي والتشريعات التي تحمي اللغة العربية في بلدانها. في تقديري انه بدون كسر الحلقة المفرغة باصدار قرار سياسي على اعلى المستويات، في اي بلد عربي، فان العملية ستبقى متعثرة. وإنني اتمنى على مجمعنا في الاردن ان نسعى مع المعنيين ومتخذي القرار السياسي على أعلى المستويات، لكي تصدر التشريعات اللازمة بهذا الصدد.

والمشكلة الخامسة:

قلة الدعم المالي للمجامع اللغوية: فالموازنات المالية للمجمع متواضعة جدا. ولا بد ان تقوم الحكومات المتعاقبة، والمؤسسات

الاقتصادية والاجتماعية في هذا البلد الطيب، برصد موازنات مناسبة تليق بأهداف المجمع السامية، وبرسالته العظيمة في خدمة اللغة والعقيدة والتاريخ.

والمشكلة السادسة:

هي ضعف عملية اجراء البحوث العملية في المجالات اللغوية. لقد أصبحت البلدان المختلفة تُجري البحوث اللغوية كما تجري البحوث العلمية التجريبية.

ونحن لا نزال في جامعاتنا، على النطاق العربي كلّه، مقصرين في اجراء البحوث اللغوية. فليس العجز في لغتنا، ولكن العجز في علمائها المعاصرين، وعليهم أن يبادروا الى مثل هذه البحوث. ومن المعيب جدا ان نتطلع ذات اليمين وذات الشمال، واذا اراد احدنا ان يأخذ الدكتوراه، نقول له اذهب خذ الدكتوراه في اللغة العربية من مستشرق لا يتقن اللغة العربية، بل غالبا ما يوجِّهه لدراسة اللهجات البائدة او العامة، او ابراز اوجه الخلاف بين لهجة اقليم واقليم، مما لا يخدم اللغة العربية، بل يشجع التشويه والتشويش من حولها ليؤصلوا الشاذ، ويبرزوا الاستثناءات ليخدموا اغراض الاستشراق الخبيثة.

وهنا تفعل الجامعات الاردنية لفتح باب الحصول على الدكتوراه في اللغة العربية، والتاريخ، والتربية، لتدريس مشكلات العربية في سياقها الطبيعي: لغةً وتاريخاً وتعليماً.

وختامـــاً،

نحن في أشدّ الحاجة الى التنسيق الكافي بين المجامع اللغوية في البلاد العربية، من حيث توحيد المصطلحات، وتبادل الخبرات، والاتفاق على منهجية للعمـل، وعـدم تكـرار الجهـود، ووضـع خطة متكاملة عن المشكـلات الحساسة، التي يجب أن تُعْطَى أولوية في الدراسة واتخاذ الاجراءات. فحبذا لو يكون ثمة تنسيق كاف بين المجامع اللغوية، لدراسة هذه المشكلات وأمثالها، والخروج بحلول منسقة متكاملة. ونحن نتطلع الى ان تعمل المجامع اللغوية في البلدان العربية كمجمع واحد، له فروع في البلدان العربية، ويصدر ما يصدر عنها باتفاق وبتنسيق.

وأتـرك المجال لأستاذنا الدكتور سليمان، على ان نعود الى بعض النقاط في التطلعات نحو رسم خطة عمل للمجامع اللغوية، للقيام بدورها بصورة فعالة، ترجمة وتعريبا وتأليفا وبحثا وتعليما واستخداما، بحيث تكون هذه الخطة شاملة لجميع العلوم، وبخاصة العلوم البحتة والتطبيقية، وتكون على مستوى جميع اقطار الوطن العربي، وتوزع فيها الادوار بين المجامع اللغوية، ويؤكّد فيها على العمل الجماعي من قبل المختصين في العلوم المختلفة، جنبا الى جنب مع المختصين في اللغة العربية، ليغدو العمل منسقاً واقرب الى الكمال ان شاء الله، وبالله التوفيق، وعليه الاتكال.

وشـــكراً

أمّا بعد فقد تحدث زميلاي الكريمان عن : دور المجامع اللغوية في الحياة العلمية العربية المعاصرة ، حديثاً رائعاً مستفيضاً ، ولم يتركا في هذا الموضوع مزيداً لمستزيد ، ولكني ، وقد كتب علي أن أتحدث الى حضراتكم ، اعرض عليكم دوراً يراه بعض الناس سلبياً ، مرّ به مجمع اللغة العربية في القاهرة ـ وعنوان الندوة يحتمل دور المجامع الايجابي والسلبي على حد سواء ، ولكني مع ذلك أرى هذا الدور نفسه من أكبر الادوار الايجابية التي كانت وساماً في صدر هذا المجمع خالداً على الزمن ، يرفع من شأنه وشأن المجامع اللغوية على مدى الدهر.

ولقد كانت نشأة هذا المجمع احدى حسنات الملك فؤاد، رحمه الله ، تشهد له بالعروبة وحسن الاسلام رغم ما زعم بعضهم من أنه يوناني ، او تركي . وكانت حكومة مصر وقتئذ غير ديمقراطية، كما يقولون، بل كانت حكومة من ذوي الألقاب الذين ألّفوا لأنفسهم حزباً سمّوه (حزب الشعب) ؛ وكانت رئاسة المجمع لرئيس مجلس النواب، المرحوم محمد توفيق رفعت باشا، وكان من أعلام اللغة العربية، اذا تجاوزنا عن صفته السياسية . وكان الأعضاء فيه اربعين من علماء اللغة : نصفهم من المصريين، والنصف الآخر من الدول العربية الشقيقة، ومن المستشرقين من دول اجنبية مختلفة . وكان كثير من اعضائه المصريين من المستغربين، الذين يرون كل ما جاءنا من اوروبا خيرا لا بدّ من الأخذ به، حتى ان احدهم، وهو من كان يلقب «عميد الأدب العربي»، كتب كتابا عن مستقبل الثقافة في مصر يقول فيه بصراحة ووضوح : «اذا كانت مصر تريد ان تنهض كما نهضت اوروبا فعليها ان تأخذ الحضارة الأوروبية كلّها، خيرها وشرّها، حلوها ومرّها، ما يحمد منها وما يعاب» .

وبين هؤلاء العلماء الأعلام، كان شيخ القضاة في مصر، وهو ايضا من العلماء الافذاذ في القانون وفي اللغة على حدّ سواء. ولقد تقدّم العضو المحترم الى المجمع الموقر باقتراح عجيب، يكاد أن يكون من مثل عجب قول عميد الأدب العربي. مؤدى هذا الاقتراح ان السر في صعوبة تعلّم العربية للطلاب والمتعلمين العرب، انها تكتب بحروف مخالفة للحروف الأوروبية، وان العرب إن ارادوا ان ينهضوا بهذه اللغة، فعليهم ان يكتبوها بالحروف اللاتينية كما فعل اتاتورك باللغة التركية. وأيّد رأيه هذا ببحث طويل أصيل مبتكر في اكثر من مئة صفحة من الحجج المنطقية، والأسانيد العلمية، والأمثلة الكتابية، حتى انه قدّم مثالا لبعض آيات القرآن الكريم مكتوبة بالحروف اللاتينية.

ولقد كان معظم أعضاء المجمع من الباشوات العظام على أتمّ استعداد أن يسيروا في ركب التقدّم الذي يقوده شيخ القضاة، لولا ان قيّض الله لهذه اللغة الشريفة من اعضاء المجمع، من غير ذوي الأسماء المشهورة والألقاب الرفيعة، مَن تَعَرّض للردّ عليه بحجج أقوى منطقا، وأسانيد أعظم دلالة وأوضح بيانا. وكان من بين هؤلاء طبيب جرّاح، لا هو أستاذ في جامعة ولا هو من علة ذوي الألقاب، ذلكم هو المرحوم الدكتور محمد شرف، صاحب القاموس الطبي العربي العظيم. واستطاع هذا الطبيب بدفاعه المجيد عن لغة القرآن الكريم وكتابتها، وبمساعدة عدد من مشايخنا العلماء، أن يدفعوا باقتراح شيخ القضاة الى الاهمال، بل الى القبر الى غير رجعة ـ والحمد لله ـ أليس ذلك كافيا لأن يكون وساما في صدر المجمع اللغوي، وأعضائه الخالدين؟.

فمن لنا بمثل الدكتور شرف كي يقف امام الدعوة الجديدة التي يُؤمن بها ـ مع الأسف الشديد ـ كثير من أعضاء المجامع اللغوية، وكثير من أساتذة الجامعات؟ تلك الدعوة التي تزعم ان تدريس العلوم لا بدّ أن يستمر باللغات الأجنبية حتى تستكمل اللغة العربية ما يسمونه بمقومات صلاحيتها لتعليم العلوم: من اعداد المعلم العربي الجيّد للغة العربية، ومن الكتب الدراسية العصرية الكافية للتعليم، ومن المصطلحات لجميع مفردات العلوم العصرية، ومن دوريات عربية حديثة كافية، ثم من البحوث العربية الأصيلة في العلوم كلّها. . . ولا تعجبوا يا سادة من هذا الكلام فقد سمعناه هنا من احد المتحدثين في ندوة سابقة، وهو مع ذلك من دعاة التعريب.

وظاهر هذا الكلام كأنه خير، ولكن باطنه فيه العذاب. فإن توفر هذه المتطلبات لا يمكن تحقيقه ولا بعد ملايين السنين، ولكنه يتحقق في يوم واحد ان بدأنا التدريس باللغة العربية؛ فكل هذه المتطلبات ليس الا نتاج التدريس بالعربية، وما إن نبدأ التدريس باللغة العربية الا وتمتلىء المكتبة العربية بالمصطلحات، والدوريات والكتب، والأبحاث، ويصبح المعلمون جميعا قادرين على التعليم باللغة العربية. والا لو خُدعنا بهذه الدعوة، وسرنا كما نسير الآن: نُعِدّ المصطلحات، ونترجم الكتب، ونحاول أن نصدر الدوريات دون أن نُدَرِّس بالعربية، فان كل هذا الانتاج سيكون مآله رفوف بعض المكتبات، او مخازن المجامع والجامعات. فبالله عليكم لمن يؤلف المؤلفون، او يترجم المترجمون، أو يضع العلماء المصطلحات اذا لم يكن التدريس باللغة العربية؟

ومن كان في شك ممّا أقول فليسأل مجمع اللغة العربية في القاهرة، ورصيفه في دمشق، وأخاه في عمّان، عمّا في خزائنها من مصطلحات ومعجمات وكتب مترجمة وكتب مؤلفة. هل يَسْتعمل هذه المصطلحات أحد؟ وهل يفيد من أكداس الكتب طالب أو معلم؟.

مسألة ثانية في هذا الموضوع هي: أن مجامع اللغة العربية الأربعة تستغرق معظم وقتها في وضع مصطلحات علمية عربية، جريا وراء القائلين بأن تلك هي الخطوة الأولى للتعليم بالعربية. ولأضرب مثلا بمجمع القاهرة. مضى عليه اكثر من اربعين سنة يضع مصطلحات علمية، تجتمع عليها اللجان المختلفة آلاف الساعات، ويدرسها مجلس المجمع في معظم جلساته، ثم تعرض على مؤتمره السنوي العام فتستغرق أغلب وقته الثمين، ثم تُنْشَر هذه المصطلحات في مجلدات مطبوعة طباعة فاخرة، ويطبع منها مئات الآلاف من النسخ التي توزع بلا مقابل على الجامعات والهيئات العلمية، وعلى من يطلبها من الأساتذة، والطلاب وغيرهم. ولكن هل لكل ذلك من أثر في الحياة العلمية المعاصرة؟ اللهم لا! فجميع هذه المطبوعات مقرّها رفوف المكتبات، وأبأس من ذلك في ردهات المخازن وبين الهملات.

ليست مهمة المجامع أن تضع مصطلحات، بل مهمتها تسجيل ما يقول به المعلمون، اذا بدأوا بالتعليم. ولأضرب لذلك مثالين، احدهما من البلاد الأجنبية التي يراد لنا ان نحذو حذوها، وان نأخذ بطريقتها خيرها وشرها، كما يقولون: المصطلحات العلمية التي نستعملها جميعا لم يضعها مجمع انجليزي او فرنسي، بل وضعها المعلمون، والمفكرون، والعلماء،

والباحثون. وقد يحدث أن يوضع أكثر من مصطلح للشيء الواحد، ولكن سرعان ما يجتمع العلماء في مؤتمراتهم فيتفقون على واحد منها يستعملونه.

المثال الثاني من تاريخنا القديم والحديث، فقد بدأ العرب في ترجمة العلوم اليونانية والسريانية والهندية دون ان يكون عندهم ما يعرف بالمصطلحات، بل وضع المترجمون ما رأوه مناسبا من مصطلحات، بل انهم احيانا استعملوا نفس المصطلح الأجنبي حين لم يستطع المترجم ان يجد له مقابلا بالعربية، فكتبوا «الجغرافيا» و«الموسيقى» و«الاريتماطيقا» و«البريطون» و«الاورطي»، وآلافاً غيرها. ثم بدأ الناس يتعلمون بالعربية، حتى اذا استقامت لهم تلك العلوم، طوروا هذه المصطلحات الى لغة عربية فصيحة، حتى أصبح العرب هم أصحاب هذه العلوم، ونقلتها عنهم اوروبا كلّها، واستعملوا اللغة العربية في جامعاتهم، لتعليم العلوم، وبقيت اوروبا بأسرها عالة على العرب في تعلّم العلوم أكثر من سبعة قرون، حتى قيّض الله لهم عالما عاقلا «باراسلسوس» أحرق كتاب القانون لابن سينا، في احد الميادين العامّة، ورغم ما تعرض له من أذى شديد كاد ان يبلغ مرحلة وصفه بالزندقة، فقد أصرّ على ان يعلّم بلغته (الالمانية)، ثم حذا حذوه الاوروبيون. ولم يكن من المصادفات ان بدأ عصر النهضة العلمية الاوروبية بعد ذلك بقليل، وأصبح العلم اوروبيا بعد ان كان عربيا.

المثال الثاني من مصر حين أنشأ محمد علي باشا الكبير مدرسة الطب في مصر، واستقدم لها أساتذة من فرنسا وغيرها من البلاد الاوروبية، وعلى رأسهم العالم الشهير «كلوك بك»، وكانوا يعلّمون باللغة العربية التي تعلّموها هم بعد ان كانوا يلقون الدروس بلغاتهم، ثم يقوم بترجمة الدرس مترجمون عرب. ولم تطل تلك المدّة أكثر من سنوات قليلة، ألّف بعدها

المتخرجون الجدد كتبا في جميع فروع الطب بالعربية، واستمر الحال على ذلك اكثر من سبعين عاما، امتلأت فيها المكتبة العلمية بمئات الكتب العربية في كل فروع الطب، وما زالت تلك الكتب مخزونة في خبايا المكتبات، والمخازن، اذ ان الاستعمار قد قضى على هذه الثروة الغالية من العلوم العربية، واقنعنا بأن نرتد عن لغتنا وان نتعلم بلغتهم.

في أواخر سنة ١٩٦٥، تقدّمتُ باقتراح تعليم الطب باللغة العربية وفورا وافق اعضاء مجلس كلّية طب جامعة القاهرة بالاجماع على الاقتراح ـ وكان ذلك بعد العدوان الثلاثي على مصر، مما جمع رأي اعضاء مجلس الكلية على اقتراحي ـ ولكنهم ادخلوا عليه تعديلا: هو ان يكون التعليم بالعربية تدريجياً ـ اي نبدأ بالسنة الاولى، ثم بعد عام بالثانية، ثم الثالثة، وهكذا. ووضعنا كتبا بالعربية للسنة الاولى استعملت سبع سنوات طوال، ولم نزد عليها، مع اننا وضعنا كتب السنة الثانية والثالثة، وما زالت تلك الكتب ملقاة في مهملات جامعة القاهرة. ذلك ان حدّة العداء للانجليزية خفّت بعد العدوان، وعاد الأساتذة يلوون ألسنتهم برطانة اعجمية لا يفهم الطلاب اغلبها. والادهى أن كثيراً من المدرسين الجدد لا يفهمون كثيراً منها، ولكنهم يلقونها على الطلاب كأنهم أجهزة تسجيل.

لذلك مضى علينا الآن اكثر من تسعين عاماً نعلّم الطب بالانكليزية، وما زلنا حتى الآن لا نزيد على ان نقلّد الانجليزي في التعليم، لم يظهر منا واحد اكتشف شيئا جديد، أو أضاف للعلم الذي يعلّمه اضافة جديدة.

ايها السادة الفضلاء! اسمحوا لي ان اكرر هنا ما تعودت ان اقوله في كل عام في مؤتمر مجمع اللغة العربية السنوي: «لا بد أن يجعل المجمع اللغوي دوره الرئيسي ان يقنع أساتذة الجامعات، وغيرهم من المفكرين، ومن بعدهم قادة البلاد العربية، بأن لا حياة للعرب بغير لغة القرآن الكريم، وأن التعليم باللغة العربية في كلّ مراحل التعليم، من أدناها الى اعلاها، ضرورة علمية لتأصيل العلوم في العرب، وضرورة قومية ترفع عنا ذلّ التبعية، وعار الاستعمار الفكري، الذي ما زال يملأ ادمغة كثير من المتعلمين.

وأشكركم لحسن اصغائكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

الدكتور محمد أحمد سليمان

د ـ كلمة تعقيب وختام من رئيس المجمع الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة

شكرا للأستاذ الجليل الدكتور محمد أحمد سليمان على هذه الأفكار القيّمة، واذا جاز لي ان اصفها فأقول: انها نفثات مصدور. . . ونحن نعلم تواضعه الجمّ، وأن عنده الشيء الكثير لو اتسع المجال للحديث.

لا شك أن الانقطاع بين النظرية والتطبيق سبب اساسي في هذا الوضع الذي تقاسي منه اللغة العربية؛ فهنالك قطيعة بين عمل المجامع اللغوية ومنجزاتها، ولا سيما في مجال المصطلحات العلمية، وبين الجامعات العربية والمؤسسات العلمية. فاللغة لا تحيا في بطون الكتب وفي مجلدات تكدّس على الرفوف، ولكنها تحيا بالاستعمال. فوجود سبعة عشر مجلدا، مثلا، من المصطلحات العلمية قد وضعت الرفوف، لا يعني شيئاً اذا لم يكن هنالك التزام بتطبيقها واستعمالها، وبالتالي اذا لم يكن هنالك قرار سياسي تتّخذه الأمة في ذروة مجالسها التشريعية والتنفيذية، تجعل من اللغة العربية لغة التدريس الجامعي والبحث العلمي، ولغة جميع المؤسسات العامة والخاصة. ونحن لا نعلم إن كانت هنالك امة من الامم تجعل قضية من قضاياها الجوهرية خاضعة لأهواء واجتهادات بعض الافراد في مؤسساتها العلمية والحضارية. فالواجب يقضي باصدار قانون اللغة العربية، وان تحرص الدولة باجهزتها المختلفة على سلامة التنفيذ.

والآن اترك المجال للأخوة الكرام الذين يرغبون في التعليق او التعقيب او السؤال.

الفهرس

١ ـ تقديم الكتاب ٣
٢ ـ تجارب في التعريب ـ للدكتور محمود الجليلي ٧
٣ ـ محاولات تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً
للدكتور شوقي ضيف ٣٩
٤ ـ تعريب العلوم الطبّية
للدكتور محمد هيثم الخيّاط ٦٩
٥ ـ تكنولوجيا اللغة والتراث العربي اللغوي الأصيل
للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ٩٥
٦ ـ دور المجامع اللغوية في الحياة العلمية العربية المعاصرة ـ ندوة ـ . ١٣٣
أ ـ كلمة رئيس المجمع الدكتور عبد الكريم خليفة ١٣٥
ب ـ كلمة الدكتور اسحق الفرحان ١٤٩
جـ ـ كلمة الدكتور محمد أحمد سليمان ١٥٩
د ـ كلمة تعقيب وختام من رئيس المجمع
الدكتور عبد الكريم خليفة ١٦٩

طبع في شركة الشرق الأوسط للطباعة
ص.ب ١٥٢٨٦ ماركا الشمالية / عمان / الأردن / تلفون ٩٤٩٤٠ / ٩٤٩٤١